محمد بن ناصر العبودي

رحلة إلى جزر المالديف

إحدى عجائب الدنيا



للطباعة والنشر
١٤٠١هـ - ١٩٨١م



رئيس جمهورية مالديف الشيخ مأمون عبدالقيوم يلقي كلمته في أحد المؤتمرات

الإهـــداء

(مَلْدِيفُ) يـا حُلم الـزمـان الغـافي　　يــا دُرّة الغَـوَّاص في الأصـدافِ
أنتِ التي إخْتَـرْتِ دين محمـد　　وتـركتِ طَـوْعاً بـاطل الأسلافِ
مَنَح الإلـه مـواطنيـك طبيعـةً　　رقـراقـة كـالسلسبيـل الصـافي
وخلا من الحرب الضَّروس سجِلُّهُمْ　　فغدوا عديمي المثل في الإنصاف

* * *

فيـكِ الجزائـر خَضْـرَةٌ مخضَلَّة　　والنـارَجيـل يَـلُفُّهـا بلفـاف
والبحـر والخضـراءُ فيـك تـلاقيـا　　والـزّهـر من مُتَنـوِّعِ الأصنـاف
والمِلْح والعَذْب الـزّلال تجـاوروا　　جَنْبـاً الى جَنْبٍ بـدون تنـافـي
والرَّمْل أبيض في الضِّفاف، كأنـه　　في اليمِّ حـاشية البسـاط الـطافي
والمـوج حتى الموج يـأتي هادئـاً　　كـالقـطن من مِنْـدَفَـةِ النَّـدَّافِ

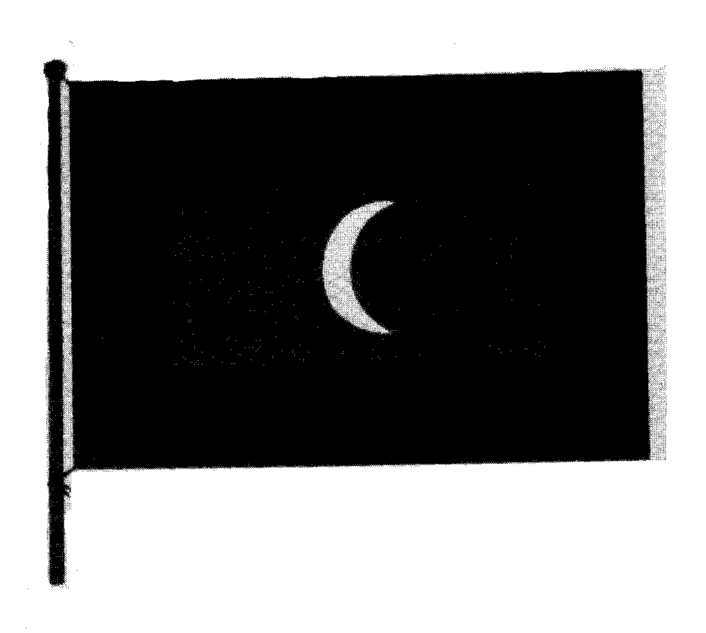
* * *

عرف الأجانب طيب أرضك مثلما　　عـرفوا سمـاحة شعبـكِ المِضْيـافِ
يــرتـادك المُلْتـاع نَفْسـاً منهُـمُ　　كي تُلبسي الملتـاع ثـوب عـوافي

* * *

أُهـدي إليـكِ كُتَيِّبـاً أَلَّـفْتُـهُ　　في حِضْنِكَ البَرِّ الحنون الضافي
حَـيَّيـتْنـي بتـحيـةٍ فـرددتُـهـا　　بتـحيـة مـن أسْطُرٍ وقـوافـي .

المؤلف .



علم مالديف



شعار مالديف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربَ العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن « مالديف إحدى عجائب الدنيا » هكذا قال ابن بطوطة ، وإذا قال ذلك في شيء فإنه بلا شك عجيب حقاً ذلك بأنه قال ما قاله بعد أن زار أنحاء واسعة شاسعة من بلاد الدنيا ورأى فيها من العجائب ما أصبح عنده العجب لا يعجبه ، إلا أنه مع ذلك قال هذا القول في مالديف ، وذلك حفزني الى زيارة مالديف .

وشيء آخر بل أشياء أخرى حفزتني الى زيارة مالديف أهمها أنها بلد إسلامي جميع سكانه مسلمون ومنها أنها بلاد محتاجة الى مد يد العون الثقافي من اخوانها المسلمين ، وقلت في نفسي عسى أن أكون سبباً في إيصال بعض النفع الى هذه الجزر المسلمة لأن منصبي الذي هو الأمانة العامة للدعوة الاسلامية يختص بالعمل على مساعدة المسلمين في الأقطار الخارجية ، مساعدة إسلامية لا تخرج عن ميدان الثقافة الإسلامية ونحوها دون أن تلج حدود الأمور السياسية .

وأمر آخر وهو إشباع الرغبة السياحية في نفسي التي تحملني على زيارة الأقطار التي لم أزرها من قبل ، وأمر آخر مهم وهو أن هذه الجزر من البلاد النائية التي لا تتاح زيارتها إلّا لمن يتعمد ذلك وهم قليل من البلاد الاسلامية فهي ليست على طريق أحد البلدان الهامة ، ولا هي محطة من محطات الوصول من بلادنا الى بلاد لنا علاقات تضطرنا الى التردد عليها .

وأول واجب على من يزورها وأمثالها وأهونه أداءً هو تعريف إخوانه المسلمين ممن يطلع على كتابته بأحوال هذه البلاد حتى يشاركوه الشعور بالواجب نحوها ، وبالتالي يحس المؤلف بشيء من الراحة والاطمئنان الى أنه قد بلغ شيئاً مما يود إبلاغه ، وجلى بعضاً مما يحبّ جلاءه .

فكانت هذه الأوراق التي أقدمها لك في هذا الكتاب وهي مشاهدات وانطباعات إلاّ أن فيها في بعض نواحيها ما يمكن أن يصل الى درجة الدراسات ، لذلك أرجو أن يجد فيها من يحبون قراءة الرحلات ومن يبحثون عن شيء من الدراسات عن هذه الجزر المسلمة ما يدعو الفريقين الى القراءة .

والله الموفق .

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

الرياض، في ٢٥ ذي الحجة ١٤٠٠هـ

٣ نوفمبر ١٩٨٠م

يوم الأربعاء ٦ محرم ١٣٩٩ هـ الموافق ٦ / ١٢/ ١٩٧٨ م

من كولمبو الى مالي :

مالي هي عاصمة مالديف وينطقون بإسمها مثل ما ننطق باسم (مالي) الجمهورية الإفريقية الغربية على حدود الصحراء الإفريقية الكبرى إلاَّ أنهم يميلون كسرة اللام الى الفتح فيكون لفظها بالامالة .

وليس دقيقاً أن نقول الى مدينة مالي ، فهي جزيرة وهي مدينة وهي العاصمة وهي أكبر الجزر في المجموعة التي تتألف منها وهي المجموعة الوسطى من جزر مالديف ، وربما كان القول بأنها هي العاصمة ليس كاملاً من كل الوجوه ذلك بأن بعض المرافق التي تكون في عواصم الدول ليست موجودة في مالي هذه بسبب ضيقها ، فالمطار مثلاً موجود في جزيرة أخرى تجاورها لأنه ليس في مالي متسع له ، وخزان الوقود الذي يموّن الدولة موجود أيضاً في جزيرة صغيرة بجانبها غير مسكونة ، وهكذا يكون الأمر اصطلاحياً اكثر منه دقيقاً إذاًنقل :الى جزيرة مالي .

خرجت من فندقي في كولمبو عاصمة سيلان قبل الموعد المقرر لقيام الطائرة التي ستقلنا الى مالديف بساعتين بسبب بعد المسافة بين كولمبو ومطارها الدولي وكان ذلك بصحبة الأخ الكريم جَمشيد عبد الجبار الذي كان مرافقاً لي طيلة تجولي في سيلان ، وكان معي أيضاً الشيخ أحمد المبارك بن محمد مخدوم مندوب رئاسة الافتاء في المملكة العربية السعودية وهو سيلاني متخرج من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ومعنا بعض الاخوان الآخرين على سيارة

مكيفة الهواء وجديدة لحسن الحظ . ووصلنا الى المطار بعد اكثر من نصف ساعة .

وقصدنا القاعة التي يسمونها « صالون الشرف » لأن سلطات المطار كانت قد أخبرت بقدومي قبل ذلك وكان هذا مصدر عدم راحة لي . ذلك بأنني قضيت فيه أكثر من ساعتين ونصف لم أستفد منهما فائدة جديدة مع أن المكان هو مكان التكريم لأنني اذا كنت مع عامة الركاب فإنني اتمتع بالاطلاع على تصرفاتهم وحركاتهم وأعرف مدى قدرة المسؤولين على القيام بالأعمال ، ثم إن هناك شيئاً آخر وهو أنني أستطيع أن أعتزل في ركن من قاعة الاستقبال فأكتب ما أريد وأستريح بين الفينة والأخرى على مشاهدة وجوه جديدة ، أي أنني أكون معتزلاً ومع الناس في آن واحد . أما في هذا الذي هو « صالون الشرف » فإنك منه لا ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً الّا ما يجود به المكبر من أخبار الرحلات التي لا تشاهد من الراحلين عليها أحداً .

وتأخرت الطائرة عن موعدها ساعتين إلاَّ ربعاً ولم يكن في الصالون أحد غيري من « المشرَّفين» وإنما كان فيه معي أصحابي .

ثم أعلن مكبر الصوت عن الخروج للطائرة وكان موقفها قريباً جداً من باب (الصالون) المفضي الى المطار .

ورأيت الركاب وهم يتزاحمون خارجين من قاعة المسافرين فإذا بهم كثرة على خلاف ما كنت أظن وكانت الطائرة أيضاً على خلاف ما أخبرت به فقد ذكر لي أنها من طراز غير نفاث ، فتبين أنها من طراز بوينج (٧٣٧) .

وقد استمر صعود الركاب الى الطائرة حتى كادت تمتلىء مقاعدها وهي تابعة للخطوط الهندية للطيران . ومع ذلك عندما أعلن المضيف عن الرحلة قال « أهلاً بكم على خطوط مالديف الوطنية » . كان معظم الركاب بل يكادون يكونون كلهم من السوّاح البيض من مختلف الجنسيات ، وكنت رأيت أكثرهم في فندقنا (انتركونتننتال) في كولمبو ، ويظهر أنهم من جماعات السائحين . ولم يكن بين ركاب الطائرة من هو أسمر اللون من سيلان مثلاً أو من مالديف إلاّ رجلاً واحداً ، كما أنه ليس بينهم من العرب احد غيري ، وشيء آخر طبيعي ولكن لا بدّ من قوله

وهو أنه ليس في الطائرة من يرتدي الملابس العربية غيري ذلك بأن رحلتي رسمية ، وأنا أحمل رسالة لرئيس الجمهورية ، وأتوقع أن أجد من يستقبلني في المطار من الموظفين الرسميين لأن حكومة « مالديف » قد علمت بتوجهي ببرقيات جاءتها من المملكة ومن سيلان .

وكان قيام الطائرة في الساعة الثانية والثلث من بعد الظهر بتوقيت سيلان المتقدم نصف ساعة عن توقيت كراتشي الذي يتقدم ساعتين عن توقيت المملكة .

وعندما أقلعت الطائرة من الأرض شاهدت من الطائرة منظراً قلّ أن تقع العين على مثله وهو منظر فروع أشجار النارجيل وقد بدت كأنها متشابكة لكثافة زراعتها ، وكونها شاملة للمنطقة كلها وهي كذلك كأنها المظلات الخضراء التي تقي غانيات سيلان السمر حرارة الشمس اللاهبة . وربما كان إعجابي بهذا المنظر منبعثاً من تذكري لفروع النخيل في بلادنا اذا أشرف الانسان على بساتينها من عل .

وبعد أن ارتفعت الطائرة اكثر من ذلك بدت حياض الأرز في حقوله التي أفسحت أشجار النارجيل لها المجال في منطقة أخرى جميلة كأنها البسط الخضراء المرزكشة باللآلِيء البيضاء ، لأن أشعة الشمس تخترق النباتات فتنعكس على بعض صفحاتها لامعة متلألئة ، ولكن ذلك لا يكون الّا ومضات خاطفة لأن الطائرة بسرعتها الكبيرة وقربها النسبي من الأرض تتجاوز مسامتتها بسرعة .

ثم دخلت الطائرة في جو البحر وكانت تلجج فيه بينما كان المضيف يرشد الركاب الى كيفية استعمال أطواق النجاة عند الهبوط الاضطراري في مياه المحيط .

وكان مضيفو الطائرة ثلاث فتيات بل فتاة واحدة وامرأتين من الهند ورجلاً هندياً أيضاً ، ولم يكن على وجوه واحدة منهن مسحة من الجمال ما عدا الفتاة أو هكذا خيّل اليّ لأن الجمال نسبي فهي بالنسبة الى الاوربيات الجالسات يميناً وشمالاً في الطائرة وهن أيضاً بالنسبة الى ذوقي البعيد عن ذوق الهنود ، يبدو شكلهن كذلك .

وكما كان (طاقم) الطائرة هندياً كان كذلك طعامها هندياً بطبيعة الحال ، ولكنه كان أكثر سخاء مما عودتني عليه الخطوط الهندية داخل الهند .

لقد كانت المضيفة قد أعلنت أن الرحلة ستدوم ساعة كاملة والوقت وقت غداء لذلك يتوقع المسافر وجبة دسمة في الخطوط العالمية ، وقد كان الطعام لا بأس به من حيث الكم نسبياً كما قلت ، ولكنه اذا قورن بالطعام الذي يقدم في الخطوط العالمية وبخاصة في طائرات البلاد العربية يبدو أقل من ذلك بكثير ، اذ كان (سانبوسك) واحدة وعودا قد نظمت فيه ثلاث قطع صغيرة بحجم نصف البيضة من اللحم وشيء من البصل وفنجان صغير به سلطة خضار و (ساندويتش) أو « شاطر ومشطور » ولكن ليس بينهما طازج كما كان الذين يريدون أن يشنعوا على المجمع اللغوي في مصر يقولون ذلك ، اذ الذي في هذا السندويتش مقدار ضئيل جداً من اللحم لا يكاد يبلغ مجموعه ربع البيضة الصغيرة ثمّ قطعة من الحلوى الهندية الحمراء وفنجان قهوة او شاي . هذا وقد أخذت الطائرة منذ أن فارقنا سماء كولمبو تطير فوق المحيط الهندي في لجة لا يرى فيها المرء من النافذة الاّ السماء والماء حتى السحاب لا يوجد منه إلاّ قطع قليلة صغيرة متفرقة ترقش صفحة هذا المحيط الذي يخيل للمرء أن لونه يميل الى السمرة مثل ألوان أهله .

وفي هذا الجو ذكرت المرحوم (إن شاء الله) ابن بطوطة وكيف سافر بالبحر المخوف من بلاد المليبار في جنوب الهند الى هذه البلاد مدة عشرة أيام ونحن يقدر لنا أن نصلها في ساعة واحدة من (كولمبو) فاحتقرت عملنا بجانب عمله بل أسفت للغة التي تسمي عمله رحلة وتسمي عملنا أيضاً رحلة وكان ينبغي أن تختلف التسمية لأن المسمى مختلف ، ولكن هكذا الانسان يتحمل الصعوبات اذا كان لا مفر له منها ، ويضج من صغائر الأمور التي لا تستحق من الأولين حتى الذكر فضلاً عن الشكوى .

وبعد أن بقي على موعد الوصول حوالي ٢٠ دقيقة بدأت الطائرة بالهبوط ولم يبد لجزائرنا التي نقصدها أيّ أثر وأسفت لهذا النزول المبكر للطائرة لأن ذلك يعني حرماننا من مشاهدة الجزائر تحتنا لأن الطائرة لن تحتاج الى أن تحوم فوقها .

وهكذا كان فقد اقتربنا منها وأعلنت المضيفة أنه يمكن للركاب أن يروا جزائر

مالديف الجميلة على جهة اليمين ولكننا لم نر شيئاً لأن مكاني كان الى جهة اليسار ولأن الطائرة كانت منحرفة مميلة الجانب الأيمن الى أعلى . ومع ذلك فقد رأينا بعض الجزائر جهة اليسار جزراً تحيط بها مياه ضحلة جميلة المنظر اذ ينتقل البصر من مياه البحر العميقة الزرقاء الى مياه ضحلة لونها بين البياض والخضرة .

في مطار مالديف :

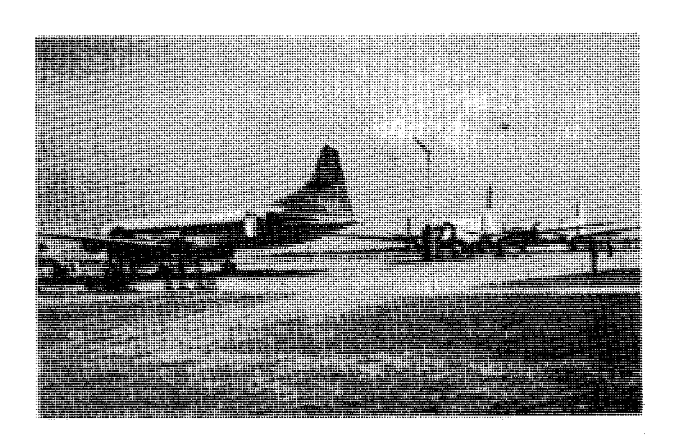
هكذا ينبغي أن نقول لأن المطار نفسه ولا شيء غير المطار يقع في جزيرة منفردة ليست بعيدة عن العاصمة ولكنها منفصلة عنها .

وكادت الطائرة أن تلامس عجلاتها مياه البحر وأشفقنا من ذلك رغم أننا لم نر يابسة تحتنا لأن طول جزيرة المطار أمامنا لا نراه من الطائرة وانما نرى على يسارنا جزيرة (مالي) عاصمة دولة (مالديف) وعلى يميننا بعض الجزر الأخرى البعيدة .



ساحل إحدى جزر مالديف

ومع ذلك ما كادت تتبين الأرض من تحت الطائرة حتى سقطت عجلاتها على الأرض سقوطاً سيئاً جعل النساء يصرخن منه اذ يظهر أن الطيار لم يأخذ الحساب الدقيق للطائرة وهي على الماء قبل أن تنزل عجلاتها في المطار ولم يكن في امكانه بعد ذلك الا أن ينزل بها على الأرض بسرعة لأن الأرض في جزيرة المطار صغيرة ليس فيها متسع لاطالة المدرج وقد اضطر لهذا السبب أيضاً أن يضغط على جهاز دفع الوقود للمحركات بسرعة عظيمة حتى يوقف اندفاع الطائرة ، وذلك كله أمر غير مريح للركاب بطبيعة الحال .



جزيرة (هولولو) حيث المطار قرب العاصمة مالي

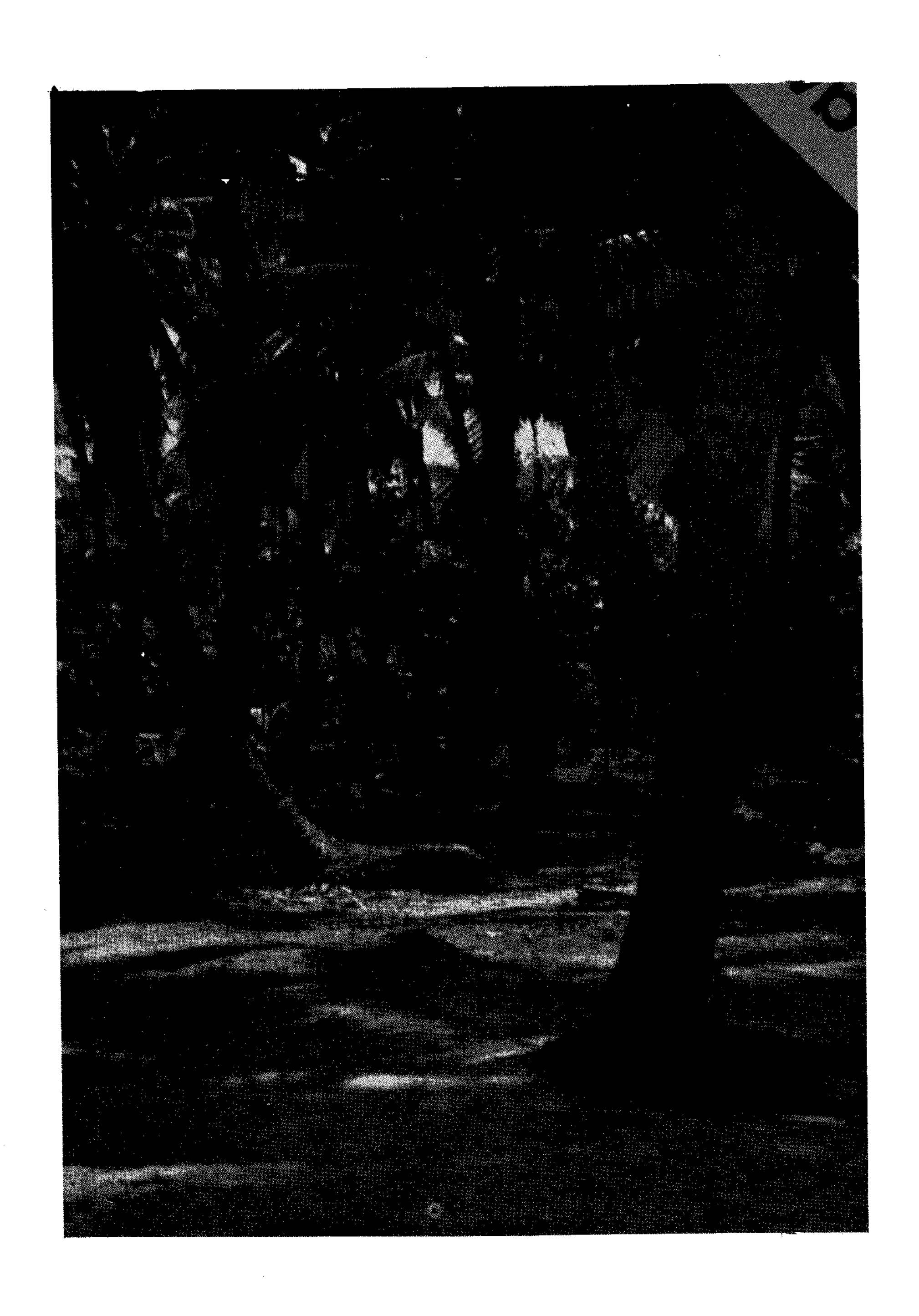
كنت أبحث عن غابات النارجيل التي ذكر ابن بطوطة أنها موجودة في هذه الجزر فأرى أن العاصمة وجزيرة المطار ليس فيها منه شيء إلاّ شجيرات متفرقة فقد قطعها الأهالي لينتفعوا بالأرض التي تشغلها . ورأيتهم فعلوا شيئاً آخر لكي يوسعوا الأرض وذلك بأن جمعوا مقادير كبيرة من رمال البحر أيضاً في الشاطىء ولا شك في أن ذلك يحتاج الى جهد ومال لا يقوون عليه وحدهم ولا بدّ من معاونة اخوانهم العرب في هذا المجال وغيره .

والمطار كما قلت جزيرة واحدة مستقلة غير مسكونة اذا وقف فيها المرء رأى الجزيرة التي هي العاصمة ورأى جزراً أخرى صغيرة منها واحدة قريبة جداً ، وهي غابة ملتفة من غابات النارجيل غير مسكونة لصغر مساحتها . عندما نزلت من سلم الطائرة وجدت عنده شخصين رحّب أحدهما بلغة عربية فصيحة ورحّب الآخر بالانكليزية وقال الأول: أنا اسمي محمد زاهر حسين ووظيفتي نائب وزير التعليم في جمهورية المالديف ، وزميلي اسمه فايز اسماعيل مندوب وزير الخارجية لاستقبالك وهو سكرتير في وزارة الخارجية .

ثم سارا بي الى ما يسمى بصالون الشرف ، وكنت قد مللت الجلوس في مثيله الذي هو أفخر منه مظهراً في مطار كولمبو ولكن جلوسنا لم يطل أكثر من دقيقة واحدة طلب مني فيها اعطاء أحد الموظفين قسيمة البطاقة التي على حقيبتي وأمره الأخ محمد زاهـر حسين أن يلحقنا بها فسألته : والجواز ؟ أتريدونه ؟ فقال : لا ، لا حاجة الى ذلك .

ثم ذهب الى قارب بخاري حديث كل ما فيه نظيف ، ويبعد عن مبنى المطار الرئيسي حوالي (٨٠) متراً وقال : تفضل ، ولم يكن معنا في القارب أحد غيرهما وغير اثنين من المرافقين وبعض العاملين في القارب .

وتبعد المسافة بين جزيرة المطار وجزيرة العاصمة حوالي كيلومترين اثنين . وغلبني فضولي ومحبة المبادرة الى الاستطلاع فبادرت الأخ محمد زاهر حسين وكان ينبغي ألا أفعل بهذه السرعة ، فقلت له : هل قرأت رحلة ابن بطوطة ؟



جزيرة تورونا نسي إلى الشمال من العاصمة ومعنى (نسي): جزيرة صغيرة بالمالديفية

فقال : نعم بطبيعة الحال ، وكتابه عندي .

فقلت : هل ما ذكره عن عادات أهل هذه البلاد صحيح ؟ فأجاب : بعضه صحيح ، فانتبهت الى أن ابن بطوطة قد ذكر أشياء ربما لا تروق لأهل هذا العصر فقلت له : لقد ذكر أنهم أهل ديانة وصلاح وأنهم يكرمون الغريب .

ثم غلبني فضولي أيضاً فقلت له : هل البيوت التي ذكرها لا يزال يوجد منها شيء ؟ فقال : لا ، فقلت له ، أليس من المناسب أن تبقى احدى الجزر محمية من التغيير، وتكون منازلها ومرافقها على العهد القديم حتى تكون في ذلك فائدة سياحية وتاريخية كما فعل أهل المغرب الأقصى حينما أبقوا مدينة فاس القديمة المسورة على حالها بدون سيارات وحتى شوارعها بقيت على حالها ؟ فقال : هذا ممكن .

قلت له : وهناك اقتراح آخر : وهو أنه يمكن لكم أن تستفيدوا من أرض بعض المياه الضحلة قرب الشواطيء وذلك بأن يلقى بقطع كبيرة من الأسمنت في حدود المساحة التي تريدون تجفيفها حتى توقف تدفق مياه البحر ثم تدفنون ما بينها وبين الشاطيء بالرمال التي يحضر البحر بعضها ، وهذا أمر فيه صعوبة وتحتاجون الى معونة خارجية فيه ، وبخاصة في جلب الاسمنت . فقال : هذا صحيح .

ونسيت أن الاقتراحات التي يبديها الغريب لأهل البلدة تكون في العادة لها شيء من الوجاهة لأنه لا يكون مثلهم قد تعود على المشكلة التي يعانونها فألفوها حتى ربما غاب حلها عن أذهانهم ولكن الغريب يفكر في الحل النظري ألَّا أنه لا يفكر في صعوبة التطبيق العملي للاقتراح .

وعندما رأيت عدد الجزر ، وعدد القوارب غلبني الفضول أيضاً فقلت له : لقد كتب أحدهم يقول « إنه لم يكن في العاصمة عام ١٣٧٣هـ غير ثلاث سيارات » وأنا أقول عندما رأيت طبيعة البلاد إنكم بحاجة الى القوارب أكثر من حاجتكم الى السيارات ، فقال : هذا صحيح ولكن العاصمة فيها عدد اكثر من السيارات وما ذكره ذلك الكاتب غير صحيح .

فقلت له : ولو فرضنا أنه كان صحيحاً فإن ذلك مزية لجزيرتكم لأن جوها يبقى نقياً ، ولأنها تسلم من كثرة الازعاج بالأصوات ولأنها تتفادى حوادث المرور .

في جزيرة مالي :

بعد مسافة يسيرة بالقارب يبلغ طولها حوالي كيلومترين اثنين وصلنا جزيرة مالي العاصمة من جزيرة المطار التي اسمها (ليلو) وعندما رأيت العلامات التي وضعوها في البحر على شكل أعمدة أسمنتية فوقها أعمدة غير عالية من الخشب تذكرت ما قاله ابن بطوطة من أن في جزائر (ذيبة المهل) جزائر على شكل دائرة في وسطها مياه البحر يصعب على صاحب المركب أن يدخل منها الاّ اذا كان معه دليل من أهلها وإلاَّ فإن مركبه سوف يرتطم بالصخور ويتحطم . وانها لهذا السبب وغيره صارت من عجائب الدنيا .

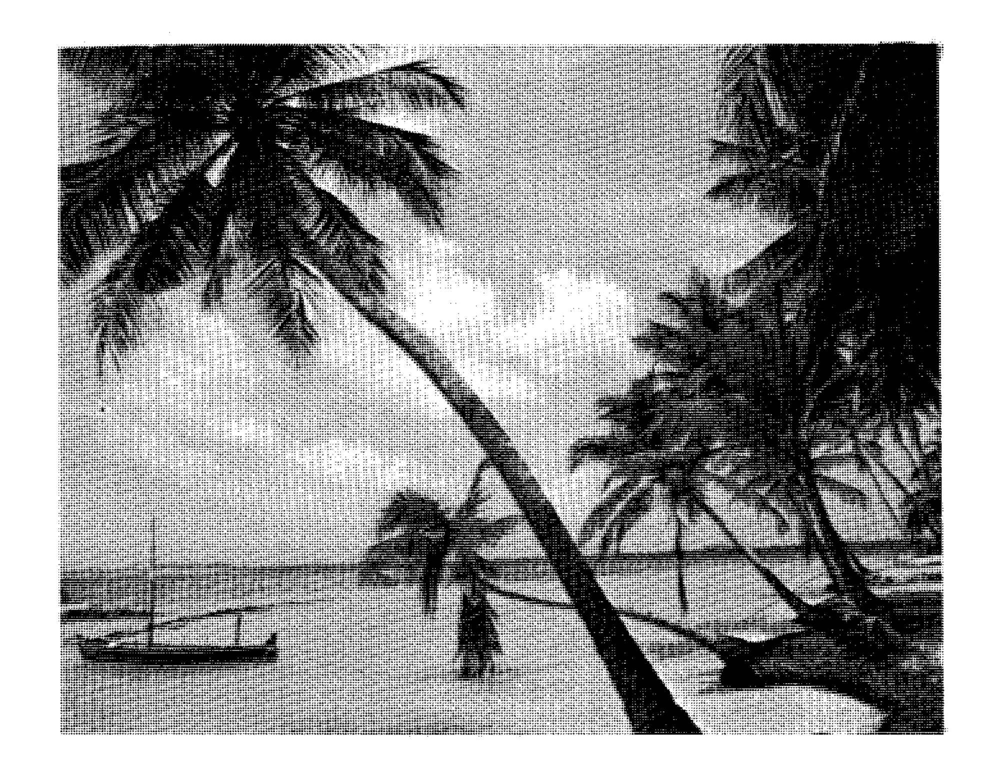
ووصلنا العاصمة ووقف القارب الحديث الأنيق قرب الرصيف وأمسك به احد الرجال ، ونزلنا منه الى شارع ووجدت في النقطة التي نزلنا فيها منه سيارة جديدة أنيقة قال الأخ محمد زاهر حسين : إنها مخصصة لتنقلاتكم .

ثم قصدنا فوراً مكاناً قريباً وجلسنا في قاعة الاستقبال الخارجية فيه . ولمّا اطمأن بنا الجلوس قال الأخ محمد زاهر : إن فخامة الرئيس يبلغك سلامه وانه قد حدد موعداً لاستقبالك في الساعة التاسعة من صباح الغد، وانك مدة اقامتك ستكون ضيفاً على الحكومة المالديفية فشكرته على ذلك وقلت له : إنني أقبل هذه الضيافة شاكراً وأرجو ابلاغ شكري وتحياتي لفخامة الرئيس .

ثم عرض الأخ محمد زاهر عليّ برنامجاً كان قد أعده من قبل لاقامتي في هذه الجزر وسأل قبل أن يعرضه عن المدة التي أرغب أن أقيم فيها هنا ؟ فقلت له : إن مهمتي الأولى هي تسليم الرسالة التي معي لفخامة الرئيس ، وإن المهمة الثانية أن أطلع على أحوال المسلمين في هذه البلاد والمهمة الثالثة التي ربما تدخل في الثانية هي أن أطلع على المعالم السياحية فيها ، وهنا عاودني فضولي فقلت له ، ماذا لو تضمن البرنامج أن أبقى فترة من الوقت في إحدى الجزر الخالية من السكان ؟ فغالب الضحك ، وقال : لك ما تريد إن هذا أمر متيسر فهذه الجزيرة

التي تراها ليست مسكونة ، فقلت له : لا اريد هذه الجزيرة لأني فيها أرى وأشاهد الناس وإنما أريد جزيرة أخرى أبعد منها ، فقال : هذا متيسر وسأضعه في البرنامج إذا أردت .

ثم اتفقت معه على برنامج الزيارة كله وأن يكون سفري منها مساء يوم السبت القادم وأن يحجز لي على الطائرة المسافرة الى كولمبو في ذلك الوقت من الآن .



قطر من جزيرة بالوج السياحية شمال العاصمة بحوالي ١٠ يكلات

ثم قال إن إقامتك ستكون في قصر الضيافة الحكومية هذا ، إنه ليس كبيراً جداً كما ترى ولكن الاخوان الذين فيه لن يقصروا في خدمتك .

ثم قال : متى تحب أن تخرج هذا المساء ؟ اتحب أن تجول في العاصمة بالسيارة قبل الغروب ؟ فقلت : نعم أريد ذلك . واتفقنا على أن يكون ذلك في الساعة الخامسة والربع ، وهنا سألته عن توقيت هذه البلاد : فقال : إنه متأخر عن توقيت سيلان بمقدار ساعة أي أنه يساوي توقيت كراتشي الذي هو متقدم عن توقيت المملكة بساعتين . ثم ودعني وانصرف بعد أن دخلت غرفتي .

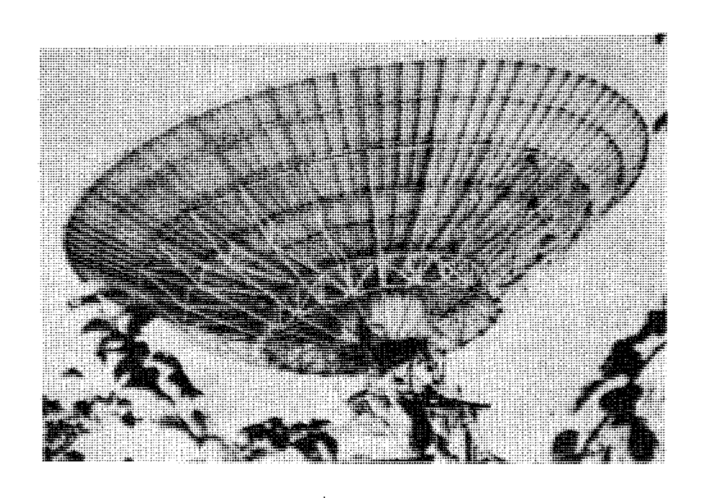
والغرفة واسعة من فيللا حديثة البناء حيطانها بالأسمنت أما السقوف فإنها مستورة من الداخل بستار من رقائق الخشب المضغوط (الابلكاش) وفي الغرفة سريران نظيفان بل إن الغرفة كلها في مستوى فنادق الدرجة الأولى فيها مكيف للهواء وجهاز للراديو وثلاجة صغيرة فيها علب من الكوكاكولا وغيرها من المرطبات . . وأربع علب من البيرة . وكل هذه الأشياء لا أشربها أما الأخيرة فإنني أدعها دينا وطبيعة وأما الأولى فإنني لا أشربها بطبيعتي اي لا احب شربها مطلقاً ولو كان في مكانها شراب من عصير الفاكهة المحلية أو شراب من ثمار النارجيل لكان ذلك أسهل عليهم لأنهم يشترون هذه الأشياء من الخارج شراء . وأما البيرة فإنني كرهت أن تكون في ضيافة قوم مسلمين .

جولة في جزيرة مالي :

حان موعد الجولة في الساعة الخامسة والربع واذا بالأخ الأستاذ فايز اسماعيل مندوب وزارة الخارجية يحضر ليكون مرافقاً فيها وهو يتحدث الانكليزية بطلاقة وهو ذكي لبق . . فقلت له ارجو أن تخبرني بما أمر عليه من أبنية وغيرها . وكان من أول البنايات التي أخبرني بها بناية الاذاعة المالديفية وذلك ظاهر من الهوائيات العالية فيها وهي مهمة في ايصال التعليمات وغيرها الى سكان هذه الجزر المتناثرة التي بعضها ناء الى درجة سحيقة . ثم أشار الى بناء آخر وقال هناك محطة التلفزيون .

فدهشت لذلك وقلت له إنكم دولة صغيرة ، ولكن المرافق متوفرة عندكم رغم ضيق المساحة ، فقد عجبت لوجود الهاتف مع أن العاصمة صغيرة المساحة ، فقال : معظم المرافق موجودة لدينا ، وقد تحققت من كونها موجودة عندهم إذْ رأيت محطة من الأقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات البعيدة المدى فقال : إنها تستطيع إيصال الرسائل لأمريكا وإن الاتصال بالمملكة العربية السعودية من هنا سهل جداً .

منظر للساحل في العاصمة مالي



صورة رقم (٢٥)

بقي مرفق هام في البلاد الأخرى لا وجود له هنا وهو المواصلات الآلية الحديثة ، وذلك لأنه لا حاجة اليها لأن العاصمة جزيرة صغيرة يستطيع المرء لا أن يقضي حاجة فيها دون سيارة بل أن يتجول فيها دون سيارة . ولا أدري لماذا يشتري بعض الناس فيها سيارات ، ولكنها على كل حال قليلة جداً ، ولذلك حفظت انه لم يقابلنا في جولتنا كلها هذه غير سيارتين اثنتين وان كنا قد رأينا سيارات واقفة واعتقد مما رأيته أنه لا يوجد في العاصمة كلها أكثر من عشرين سيارة .

ولقلة السيارات كان السائق ينحرف في الشوارع التي يكون انحرافها حاداً من شوارع أخرى دون أن يتأنى في السير أو دون أن يستعمل منبه السيارة ولم يستعمله ولا مرة واحدة وذلك لثقته بقلة السيارات ، وإنما المواصلات التي يستعملها الناس هنا بصفة إنفرادية هي الدراجات العادية .

ولقد لاحظت أو شعرت بأنني وأنا اتجوّل في أنحاء العاصمة بين بيوتها في سيارة جديدة تساق بي كنت محل استغراب الناس هنا اذ كل ما يشاهدونه في المنظر مختلف عنهم فاللون واللحية والملابس العربية كل ذلك جالب للانتباه لذلك يقف من يلمحني ليتأكد من صحة ما ينظر ، ولكنهم يفعلون ذلك بأدب جم وروح ليس فيها ما يؤذي المشاعر او يؤدي الى الاحراج وذلك لأن رجالهم قد اعتادوا حلق لحاهم ، ولأن ركوب السيارة عندهم نادر بسبب عدم الحاجة اليها . ولقد أدهشني منظر النساء وأنا أنظر اليهن فيما انظر اليه من أشياء في هذه الجزيرة فقد كنت أعتقد قبل أن أصل اليها من سيلان أنهن سيكون مستوى الجمال فيهن مثل مستوى الجمال في نساء سيلان ذلك بأن الموقع الجغرافي لا يكاد يختلف عما هو عليه في سيلان بالنسبة الى القرب من خط الاستواء كما أن البيئة الجغرافية أيضاً ليست بعيدة عن ساحل سيلان اذ هي بحرية رطبة غزيرة المطر . ولكنني عندما لمحته أول مرة تعجبت من جمال فيهن ليس في السيلانيات بل ولا في الهنديات القريبات منهن في جنوب الهند ، فهن رغم أن ألوانهن ليست بعيدة من ألوان السيلانيات والهنديات الجنوبيات أحسن أجساماً وأندى وجوهاً وأكثر تناسباً في التقاطيع وقاماتهن أكثر اعتدالاً ، بل إن فيهن مقاييس من الجمال متوفرة قلّ أن توجد في كثير من النساء حتى الأوروبيات ، فهن ذوات قامات ممشوقة والبدانة المفرطة ليست فيهن منتشرة والنحافة الزائدة غير موجودة والصدور البارزة حتى في الصغيرات من النساء ظاهرة بل إن الصدور البارزة موجودة

حتى في المتوسطات من العمر ، والى جانب الصدور النافرة يلاحظ المرء خصوراً ضامرة ، مع شعور وافرة وخطوات يخيل اليك أنها قد دربت على مشية فيها الكثير من الجاذبية . أما التقاطيع في الوجوه فإنه لا يوجد مثلها في هذه المنطقة وقد تعجبت من تقاطيع هذا الشعب على وجه العموم وحاولت أن ألحقه بجنس من الأجناس التي عرفتها من قبل فلم أستطع ذلك إلاَّ بأن أقول إنّ لهم ألواناً تشبه ألوان السودانيين ولهم تقاطيع هي تقاطيع العرب الخالصين ولهم قامات هي قامات الحضرميين . وعندما رأيت نساءهم ذكرت ابن بطوطة رحمه الله ووصفه لهن بل إطراءه إيّاهن ووجدت له العذر في ذلك لا سيما بعد أن كان قد زار جنوب الهند وربما عرف أناساً من أهل سيلان بعد ذلك ، وكان وصفه لهن قبل زيارته لجزيرة سيلان .

وقد رأيت عادة عند النساء وهي وقوفهن على أبواب الدور يتفرجن على الذاهبين والآيبين وهن واقفات دون أن يجلسن وهن بطبيعة الحال غير النساء اللائي يخرجن لغرض من الأغراض فأولئك عددهن قليل . ولكن لماذا يقفن دون أن يجلسن ؟ وهل هذه عادة لهن في كل الأوقات أم في هذا الوقت من النهار الذي هو ساعة الغروب حيث تولي الشمس ويطيب الجو والحركة ؟



نموذج للملابس النسائية المالديفية القديمة

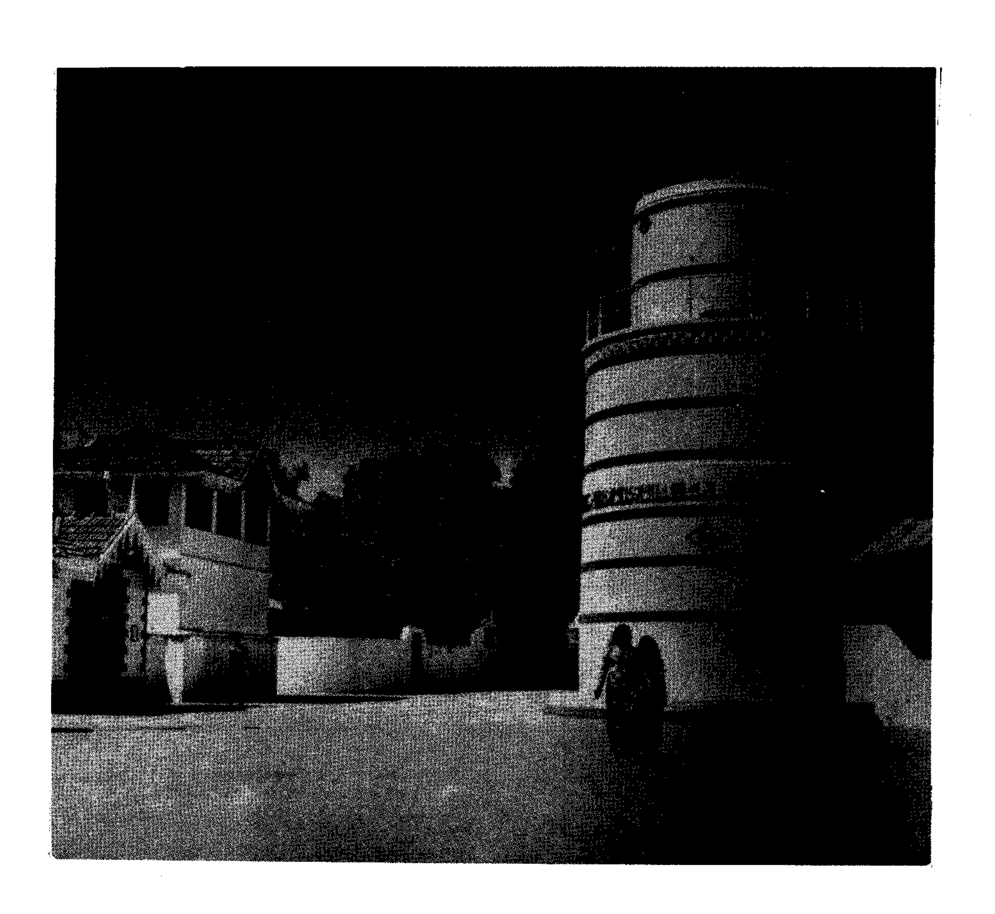
وقد لاحظت أن البيوت أكثرها إن لم تكن كلها ما عدا المباني الحكومية من طابق واحد ولها أحواش وساحات واسعة رغم ضيق مساحة الجزيرة وحاجة أهلها الى المزيد من الأرض للزراعة مثلاً ، فخطر لي خاطر كدت أبديه لمرافقي ولكنني تذكرت أن الغريب يقترح أشياء لو كان يعلم أنه سيتولى تنفيذها لما اقترحها وهو أنهم ما داموا يعانون ضيقاً في الأرض بحيث أن العاصمة كلها لا تزيد مساحتها على ميلين اثنين مربعين وأن طولها من الشمال الى الجنوب حوالي ٢٢٠٠ متر وأن عرضها من الشرق الى الغرب لا ينقص عن ذلك إلاَّ بمقدار مائتي متر ، لماذا لا يهدمون كل هذه البيوت الأرضية ويجمعون سكان العاصمة كلهم وعددهم يبلغ ٣٢ ألفاً في أربع عمارات أو ثلاث من طوابق متعددة في شقق مناسبة فهم بذلك يوفرون أكثر من تسعين بالمائة من أرض الجزيرة فيستعملونه في زراعة الخضروات التي يستوردونها من سيلان بأثمان غالية ، او يستعملونه في غرس أشجار الفاكهة التي تزدهر في المناطق الاستوائية ؟

ثم بلغ بنا التجوال الى السوق الشعبي في الجزيرة . وهو سوق عجيب اذ نصفه في البر ونصفه في البحر فقد اصطفت على الشاطىء مباشرة بعد شارع في اليابسة أعداد من القوارب الخشبية النظيفة ذات المظهر الجيد وليست كقوارب فقراء الهنود أو الافريقيين وهي مجللة بحصر غليظة مصنوعة من خوص النارجيل على شكل أسنمة وذلك لكي تقي من فيها أشعة الشمس . وفي هذه القوارب أهلها الذين جاءوا بها من الجزر الأخرى التي هي نائية نوعاً ما وقد حملوها بالبضائع المتوفرة في جزرهم رأيت من أهمها الحطب الذي يؤخذ من خشب النارجيل وغيره من الأشجار وكذلك الدجاج ، وبعض الفاكهة وهي قليلة مثل الموز ومن أهم ذلك وأكثره ثمار أشجار النارجيل وملاصق لتلك القوارب في البر بعض السوق الذي يبتاع منه أهل القوارب البضائع التي يحتاجونها في جزرهم وهي موجودة في جزيرة العاصمة والسمك هنا من البضائع الهامة بطبيعة الحال . ثم مررنا بسوق البيع والشراء ، في شارع رئيسي واحد ، جميل الحوانيت ، نظيف المظهر فيه كثير من البضائع المستوردة الجيدة .

ثم واصلنا سيرنا بالسيارة والمسافة هنا كما قلت متقاربة فإذا بنا نصل الى مسجد لفت نظري بهندسته وبخاصة بشكل منارته فقال لي مرافقي إن هذا هو مسجد الجمعة ، وكنت أعرف أن البرنامج يتضمن صلاة الجمعة في هذا المسجد وكان

الوقت متأخراً فلم أدخله ، وإنما عجزت عن مقاومة النظر الى المنارة الغريبة الشكل التي احيطت بحزام من الكتابة العربية رغم أن بناءها قديم ونص الكتابة المذكورة :

» بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر الى آخر الأذان « منارة اسكندر بناها الخامسة والثمانين بعد الألف من هجرة سيد البشر لا اله الاّ الله محمد رسول الله .



منظر لمنارة المسجد الجامع في مالي وتظهر عليها الكتابة العربية

وهذه الكتابة لطيفة بل هي من انفرادات هذا الجامع في هذه البقعة النائية من العالم وهي أن يكتب الآذان والشهادتان على المنارة في شكل حزام جميل متناسق باللغة العربية .

والمنارة مؤلفة من جزئين الأسفل وهو الأكبر واسع جداً مستدير يكاد يكون مستقيماً ثم نهض منه الجزء الثاني وهو أضيق وهو مستقيم الارتفاع أيضاً وحول قمة كل واحد من الجزئين حاجز من الحديد المطلـي باللون الأبيض والمنارة لونها ابيض والكتابة عليها باللون الأسود . وهكذا الغالب على لون البنايات والبيوت الخاصة في الجزيرة هو اللون الأبيض .

وعندما كنت أستدير على المنارة اقرأ الكتابة فيها رأيت رجلاً يقترب مني بل يندفع على خلاف عادة أهل الجزيرة الذين لا يندفعون الى الغريب وإنما يراقبونه من بعيد فيأخذ بيدي ويسلم عليّ وقد جاء لأداء صلاة المغرب اذ قرب وقتها فقلت له كيف حالك ؟ فأجاب : طيب بالعربية فسألته : أتعرف العربية ؟ كل ذلك وأنا أظنه من أهل هذه البلاد فأجاب : كلا . فقلت والانكليزية ؟ فقال : نعم ، وأنا من الهند جئت للصلاة ، فتركته فإذا به يستوقفني ويقول : أنت وزير لأيّ وزارة ؟ فأجبته : أنا لست وزيراً بل إني عادي من اخوانك المسلمين . وذكرت بهذه المناسبة المصادفة العجيبة إذ اتهمت (بتهمة) الوزارة هذه في مكان آخر بعيد جداً عن هذه الجزر من حيث المسافة ولكنه قريب منها من حيث طبيعة الأرض والموقع الجغرافي بل والبيئة الجغرافية وهو (جزر العذراء) في البحر الكاريبي في أمريكا الوسطى أو على الأدق بين الأمريكتين الجنوبية والشمالية ، وساءلت نفسي ، لماذا لم أتهم بهذه التهمة (الوزارية) في الأماكن الأخرى في العالم كالمدن الكبيرة مثلاً ؟

وبعد رجوع السيارة الى دار الضيافة مكملة هذه الجولة الطريفة الممتعة في هذه البقعة العزيزة الغالية من وطن الاسلام . قال الأخ المرافق : إنه يمكنني أن أستريح أو أذهب لصلاة المغرب فقلت له : ذلك ما أردته ثم ودع وانصرف مشكوراً .

الأطفال والنساء مع الجماعة :

وقفت عند باب الضيافة قليلاً انتظر آذان المغرب وأتفرج برؤ ية المارة وهم يتفرجون برؤ ية ثيابي الغريبة عليهم . ثم بادرت الى المسجد اذ شعرت بأن وقت الصلاة قد حان ورأيت الناس يدخلون اليه فدخلت مع الداخلين فإذا في فنائه بئر للوضوء يغترف الناس الماء للوضوء منها باناء مشدود الى رمح طويل كعصا يكفي لاخراج الماء من البئر الذي هو أشبه بالحوض منه بالبئر أن يطل الرجل الى البئر فيمدّ يده ويأخذ الماء بهذا المغراف ثم يخرجه ويتوضأ لأن الماء العذب قريب من سطح الأرض . ولما كنت في غير حاجة للوضوء فقد أسرعت الى المسجد اذ رأيت الامام قد أقام الصلاة .

فإذا بالمسجد صغير المساحة حديث البناء جداً ، نظيف الفرش ، مفروش كله بفراش جيد من السجاد الموحد (الموكيت) واذا بالجماعة قد أكملوا الصف الأول فيه إلاّ أنه غير عريض . واسترعى نظري نسبة المصلين من الأطفال التي تكاد تبلغ مثل نسبة المصلين من الرجال وليس ذلك هو الأغرب على كونه غريباً وانما الغريب إنني رأيت المصليات من النساء في آخر المسجد يكاد يكون عددهن مثل عدد الرجال وكن في صفين قصيرين في مؤخرة المسجد وقد لبست كل واحدة منهن رداءاً أبيض سابغاً لا يخرج غير الوجه والكفين من الجسم فقرأ الإمام في الصلاةسورتين خفيفتين وعندما انتهت الصلاة لم يجهر هو ولا المأمومون بالتسبيح والتحميد كما كانوا يفعلون في سيلان ، وانما ظلوا يسبحون ويهللون كل واحد بمفرده لا يسمع له صوت .

وقد لفت انتباهي شيء في المحراب على يمين الامام مؤلف من علبة صغيرة وصحن صغير وبجانبهما لفافة لا أدري ما هي واعتزمت أن أسأل الامام عن ذلك عندما يفرغ من التسبيح ، ولقد أجفلت حين أخرج عود ثقاب فأشعله كمن يريد أن يدخن فقلت : ما المناسبة لعود الثقاب الذي لمعت ناره في هذا المكان ، فإذا بالامام يأخذ من اللفافة عوداً من عيدان بخور العنبر فيشعل طرفه ، يفعل ذلك لتطييب المسجد .

ثم قمت الى الامام فبادرته مصافحاً وسألته : أتعرف العربية ؟ فقال : لا ، ولم

أره يبدي رغبة في التعرف اليّ فتركته واستدرت خارجاً واذا بالنساء لا زلن في مكانهن وبعضهن كن يؤدين ركعتي السنة . فلاحظت أن بينهن بعض الصغيرات في السن ، ولم يقترب مني أحد من المصلين أو يسألني عن بلادي أو اسمي وانما كانوا يكتفون بالحملقة بعيون مفتوحة فيها شيء من الدهشة .

وكان لا بد لي من الحديث مع بعض الأشخاص فانتقيت شاباً وقلت له : أتعرف العربية ؟ فأجاب : لا ، فقلت والانكليزية ؟ قال ، نعم .

فقلت له : ما اسم هذا المسجد ؟ فقال : إنه مكتوب عليه اسمه وأشار الى خارجه فرأيت لوحة مكتوبة بخط عربي جميل (مسجد ابرهيم اسكندر) فسألته عن تاريخ بنائه ؟ فقال : إنه موجود في الداخل ثم أراني لوحة مكتوبة بالانكليزية وفيها أنه جدد بناؤه في عام ١٩٧٧ م .

وبينما كنت أتحدث معه في ساحة المسجد عند الباب وجدت فتاتين أنيقتين جميلتين قريباً منا تتفرجان وعليهما لباس حديث عصريّ جداً ما رأيته على الفتيات والشابات في نساء الجزيرة خلال جولتي فيها عصرا وهو سروال ضيق الأعلى واسع الأسفل وصدري يبرز مفاتن الصدور التي هي نافرة بطبيعتها وتلك الفتاتان تقبلان من داخل المسجد وقد بدا لي أنهما في سن السادسة عشرة او السابعة عشرة فدهشت اذ لم أكن قد رأيت فتيات يلبسن هذا اللباس في المسجد عندما كنت في داخله وهو لباس غير لائق للمسجد أصلاً .

فدفعني فضولي الى أن أسأله من أين جاء هاتان الفتاتان ؟ فقال إنهما كانتا تصليان فقلت عهدي بالمصليات كلهن يرتدين رداء أبيض سابغاً ، فقال : نعم ، لقد وضعته كل واحدة منهن في هذا الكيس من الورق الذي تحمله . واذا بالواحدة منهن تحمل الى المسجد رداء ابيض تلف به جسمها كله ثم اذا انتهت الصلاة خلعته فبدين في زيهن العصري حتى رؤوسهن ليس عليها شيء . ثم اذا خرجن من المصلى في المسجد وضعن الرداء في كيس الورق وحملنه معهن الى البيت .

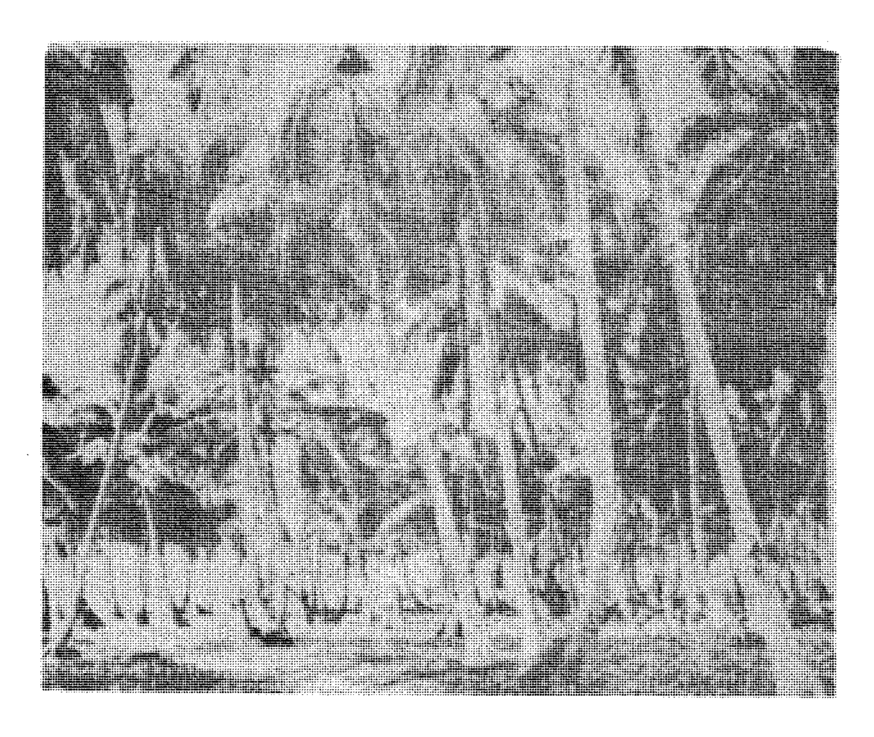
أول عشاء :

كان الأخ محمد زاهر حسين قد قال لي وهو ينادي على الطباخ : إن هذا هو الذي سيصنع لك الطعام فأمره بما شئت من طعام أو شراب . فشكرت له ذلك

وقلت : أرجو أن تخبره أنني لست أمريكياً ولا أوربياً وانما أنا أخ لكم احبّ أن آكل مما تأكلون .

وفي الساعة الثامنة كان العشاء قد أعد ولم يكن في دار الضيافة غيري فوجدت المائدة قد أعدت على الطريقة الأوروبية واذا بالحساء أوروبي مستورد . ثم اذا بالطاهي يحضر أرزاً أبيض كالأرز الهندي ومرقا يميل لونه الى الصفرة لذيذ الطعم فيه قطع من اللحم قال : انه لحم نوع من السمك ، وسمك آخر مقلي منزوع منه العظام وبعض البازلاء . وشيئاً من الأقراص التي تصنع في جنوب الهند والتي قال لي بعضهم أنهم يجففونها في الشمس ولا أدري صحة ذلك .

والحاصل أن المائدة هي اوروبية هندية وكنت أتوقع أن أستعيد ذكرى ابن بطوطة فآكل كما يأكل القوم من السمك المخلوط بالأرز وأشرب من لبن النارجيل . ولكن القوم ـ جزاهم الله خيراً ـ أرادوا اكرامي بما قدموه ولو كان أغلى ثمناً مما هو مستعمل عندهم .



صورة رقم (٧)

بين النوم واليقظة والمشكلة التي حلّوها لابن بطوطة :

وما دام الأمر في تفكيري متعلقاً بالمقارنة بين ضيافة أهل هذه الجزيرة الودية لابن بطوطة وبين ضيافتي عندهم فإنني ومن واقع ما شاهدته عصر ذلك اليوم أخذت أفكر عند النوم شأن المرء في كل مكان ولكنني لأمر ما أظنه صوت تغيير المكيف من السرعة العادية الى السرعة الشديدة انتبهت واذا بي أبصر السرير الخالي بجانبي فيتبادر الى ذهني في تلك الحالة التي يكون فيها المرء بين النوم واليقظة قد نام نصف عقله الظاهر وصحا نصف عقله الباطن كما يقول علماء النفس أن تذكرت أن ابن بطوطة حينما زار هذه الجزر أكرمه وزيرها الذي كان هو الحاكم الفعلي وان كان الأمر في الظاهر للسلطانة بنت السلطان الذي لم يكن له ولد ذكر فنصبوا ابنته سلطانة عليهم ، وكان اكرام الوزير بأن خصص له بيتاً مفروشاً بالفراش المعتاد وجعل فيه ما يحتاج إليه من طعام بل أكرمه بارسال بعض العملة عندهم في ذلك الزمان وهي الودع الذي يستخرجونه من البحر لأنهم كانوا في ذلك الوقت لا يعرفون التعامل بالذهب والفضة أو النحاس وانما كانوا يتعاملون بهذا الودع الذي يستخرج من البحر . ثم أكمل الوزير اكرامه بأن أرسل اليه جارية . وكان ابن بطوطة قد رأى جارية أخرى عند الوزير يسميها «مهراتية» من الهند فتطلعت نفسه إليها أيضاً فأرسلها اليه الوزير اضافة الى الجارية الأولى ، ومع ذلك لم يقنع ابن بطوطة بهاتين الجاريتين ، بل تزوج من عدة زوجات بعد ذلك اثناء اقامته في هذه الجزيرة التي بلغت مدتها سنة ونصفاً .

لقد حلّ الوزير مشكلة ابن بطوطة ، واخواني في مالديف ، قدموا الي داراً للضيافة ليس فيها أحد غيري ، وهي أفخر أضعافاً مضاعفة من الدار التي كان أسلافهم قد أنزلوا فيها ابن بطوطة ، والطعام الذي قدموه والفراش الذي أعدوه كان أكثر تكلفة وأعظم نفقه مما قدمه أسلافهم لابن بطوطة الّا أن المشكلة التي حلها أسلافهم لابن بطوطة يتعذر حلها للضيوف المتدينين ، لأن عهد الجواري قد انقضى ومضى مع أن الحاجة الى الجواري باقية ، وبقي أن تحل المشكلة بما لا يخدش العرض ، ولا يتنافى مع الدين ولا يرتب التزامات على الضيف لا يريد أن يلتزم بها .

يوم الخميس: ٧ محرم ١٣٩٨هـ، ٧ ديسمبر ١٩٧٨م.
مع رئيس الجمهورية المالديفية



المقر الرسمي لرئيس جمهورية مالديف

كانت الفقرة الأولى في برنامج هذا اليوم هي زيارة رئيس الجمهورية الشيخ مأمون عبد القيوم في تمام الساعة التاسعة صباحاً .

وقبل الموعد المحدد جاء اليّ السيد محمد زاهر حسين فقال إنني سوف اتقدمك الى مكتب فخامة الرئيس ويكون الأخ فايز اسماعيل مندوب وزارة الخارجية معك . فتركنا دار الضيافة على سيارة الضيافة تتبعها سيارة أخرى عسكرية فيها مرافقان عسكريان استمرا معي طيلة الزيارة رغم كوني قد أبديت عدم رغبتي فيه وذلك في الساعة التاسعة الا سبع دقائق ، ووصلنا المقر الجمهوري في مكان قريب وقد استقبلتنا عند المدخل فتاة جميلة قدمها مرافقي قائلاً إنها السيدة (خديجة اسماعيل) فقادتنا الى مكتب استقبال في الطابق الأرضي لبثنا فيه دقيقة واحدة ثم تقدمتنا في الساعة التاسعة تماماً الى مكتب في الطابق الثاني من العمارة فجلسنا في قاعة وجدت فيها الأخ محمد زاهر حسين وحده ، ثم دخل الرئيس في الحال . وحيّاني بالعربية ، ثم ابتدأ كلاماً طويلاً عن حالة هذه البلاد وما تواجهه من مشكلات بسبب ضيق رقعة الأرض وعدم صلاحيتها لانتاج المحصولات من جهة ، وبسبب تفرق الجزر وبعد المسافة بينها بعداً شاسعاً ، وقال : إنه يسرني أن استقبلكم في هذه البلاد :

جمهورية مالديف التي هي بلادكم في الحقيقة وقال : إن المشكلة الرئيسية التي نقابلها في هذه البلاد هي أنه رغم كوننا أمة مسلمة مائة في المائة إذ لا يوجد مالديفي واحد غير مسلم فإننا لا نزال نعاني بعض الصعوبات الثقافية اذ يتعلم نفر من أبنائنا في بلاد غير إسلامية ويتثقفون ثقافة غير إسلامية وبالتالي يتأثرون بذلك إلاَّ أن عامة الشعب لا يقبلون بغير الثقافة الإسلامية ثقافة ولا يريدون أن تمس بسوء ، ولذلك فإن أول ما نهتم به هو الناحية الثقافية الاسلامية هذه . ثم قال : إننا شعب مسلم نهتم بالشعائر الاسلامية ولذلك كان لدينا مشروع بناء مسجد في الجزيرة العاصمة يتسع لخمسة آلاف مصل لأن معظم المساجد الموجودة فيها رغم كثرتها تضيق بالناس يوم الجمعة واننا نرجو مساعدة المملكة على ذلك .



رئيس جمهورية مالديف الشيخ مأمون عبدالقيوم يستقبل المؤلف في مقر الرئاسة وظهر إلى اليمين الأستاذ محمد زاهر حسين نائب وزير التربية والتعليم

ثم ذكر عدة مشروعات هامة لبلاده مثل تقوية الاذاعة لأنه قد مضى على إنشائها

اكثر من عشرين سنة بحيث أصبحت أجهزتها قديمة مع أنها هامة جداً للبلاد لأنها الوسيلة الوحيدة الفعالة لايصال الأخبار والمعلومات الى كافة الجزر إذ صعوبة المواصلات وبعد المسافة ما بين الجزر وبعضها الآخر يحول دون انتشار الصحف التي هي موجودة في العاصمة .

وقال : إننا نعاني صعوبة في إيجاد الأرض اليابسة ولقد جففنا قدراً من مياه البحر الضحل بحيث ردمناه بالحجارة حتى اصبح كالجدار ثم دفنا ما بينه وبين البر ومن ذلك لسان من الشاطىء في غرب العاصمة ولسان في جزيرة المطار ثم أنهى كلامه بعبارات الترحيب .

فلما انتهى من كلامه رددت عليه بشكره على هذه الكلمات الطيبة وقلت له : إن السياسة الرشيدة التي تسير عليها حكومتنا هي سياسة التضامن الاسلامي التي تقتضي التعاون بين المسلمين على البر والتقوى وأول مراحل التعاون هي التعارف والتقارب ولذلك أجدني سعيداً جداً بزيارة هذه الجزر التي أهلها في الحقيقة كأهلي اذ كلهم ملسمون كما في البلاد السعودية وانني عندما عرض عليّ معالي الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد الحركان أن أحمل رسالة من معاليه الى فخامتكم قبلت هذا الشرف بسرور لأنني كنت أتطلع منذ وقت طويل لزيارة هذه الجزر التي ذكر ابن بطوطة من صلاح أهلها وتدينهم واكرامهم للغريب ما يجعل قارئه يشتاق الى رؤ يتها ثم إن عملي يقتضيني الاطلاع على أحوال المسلمين في العالم لأنه في ميدان العمل الاسلامي في خا رج البلاد السعودية وفي ميدان الدعوة والمعونة الاسلامية الثقافية إضافة الى أنني قد وضعت عدة كتب عن مشاهداتي لأحوال المسلمين في أنحاء العالم وسوف انتهز الفرصة لتسجيل ما أراه في هذه البلاد حتى يكون اخوانكم المسلمون في العالم الاسلامي على بينة من أمرها .

كما أنني وإن أكن لست من موظفي وزارة الخارجية ولا مرسلاً من قبلها أعد فخامتكم بأن ابلغ ما تودون إبلاغه الى اخوانكم المسؤ ولين في الحكومة السعودية .
ثم دار الحديث لفترة مع فخامته حول شؤ ون هذه الجزر الحاضرة وتاريخها القديم وكان الحديث يدور باللغة العربية دون أيّ صعوبة بحيث يشعر المرء أنه يتحدث مع شخص عربي لم يفارق البلاد العربية في حياته . وذلك لأن فخامته قد تعلم في مصر ثم كانت له صلات مع البلاد العربية في أسفار كثيرة . بل إن مظهره وحديثه يجعلك

قد تنسى أنك تكلم رجلاً من (مالديف) وإنما يخيل اليك أنك تكلم رجلاً مصرياً لأن تقاطيع وجهه هي التقاطيع العربية التي لا أثر للتقاطيع الهندية فيها .

ولم يحضر المقابلة غير الشيخ محمد زاهر حسين نائب وزير التعليم . وقد قدموا خلالها الشاي ومعه بعض المأكولات الخفيفة مثل (البسكويت) وشيء من الشطائر والساندويتش ، ثم ودعت فخامته وانصرفت .

ومما تجدر ملاحظته أن فخامته متخرج من كلية الشريعة في الأزهر ولذلك سمعت عدة أشخاص منهم يقولون : إن رئيسنا الجديد أزهري إذ كان قد تم انتخابه لرئاسة الجمهورية منذ وقت قريب ولم يمض على مباشرته العمل ألاّ حوالي عشرين يوماً .

مع رئيس مجلس النواب :

هو السيد أحمد شاطر وكان مجلس النواب قد كتب عليه لافتة بالانكليزية « أعضاء الأمة » و « مجلس » فيه كتبت في الانكليزية كما هي في العربية لأنها موجودة في لغتهم المالديفية كذلك . وعندما دخلت عليه لم يكن معه أحد ولم يكن بحاجة الى أن يدخل معي أحد لأنه يعرف العربية معرفة تقارب أن تكون كافية ولأنه كان قد تعلم في معهد البعوث الاسلامية التابع للأزهر في مصر ولكن ذلك كان من مدة طويلة ربما كان خلالها لا يستعمل ما تعلمه من اللغة العربية استعمالاً كثيراً .

وقال : إن أعضاء مجلس النواب هم (٤٨) وإنه ليس عندنا أقليات لها مشكلات لا من حيث الدين ولا من حيث اللغة ولا من ناحية المذهب .

ثم رفع رأسه الى صورة الرئيس وقال : الآن ومنذ أيام فقط أصبح رئيسنا أزهرياً أي متخرجاً من الأزهر ، وجدير بالذكر أنه يخلف الرئيس ابراهيم ناصر الذي قد تعلم في سيلان .

وبعد أن تحدث لفترة من الوقت في العلاقات بين البلاد العربية وجمهورية « مالديف » استأذنته وانصرفت .

موقف طريف :

وهذه المرة لم يعد بي الموكب الى قصر الضيافة وإنما ذهبت الى أحد البنوك لصرف بعض النقود بالعملة المالديفية لأنني قد احتاج الى شيء منها في شراء بعض التحف ، والبنك يقفل أبوابه غداً الجمعة لأنه يوم العطلة الرسمية في هذه البلاد ، وبعده السبت يقفل البنك أبوابه أيضاً وأنا سوف أسافر في يوم السبت وكان موقفاً طريفاً أن يأتي موكب رسمي مؤلف من سيارة ركوب يرفرف عليها علم الحكومة تتبعها سيارة عسكرية قرب بنك لذلك قال إخواني: إنني يمكن أن أبقى في السيارة وينهوا الاجراءات بأنفسهم وهكذا كان وحضر اليّ موظف في الفندق هاشا باشا يطلب مني التوقيع على الشيكات السياحية التي اعطيته إيّاها ألّا أن مدير البنك عندما علم بالأمر جاء بنفسه وأبى إلاّ أن أدخل عنده في مكتبه وحدثني وهو يحتفي حفاوة بالغة عن البنك فقال : إنه فرع لحبيب بنك الباكستاني وإنه لا يوجد في هذه الجزر غير بنكين أحدهما هذا والآخر البنك الهندي العالمي ، إلاّ أنه سيفتح بعد قليل (البنك الوطني المالديفي) وقال : إنه يسرني بل يشرفني أن أكون أول رئيس لفرع (حبيب بنك) في هذه البلاد الاسلامية وإنني اعتبر الخدمة فيها خدمة إسلامية وذكر أنه من شمال باكستان . وكان صرفهم بالعملة الورقية روبية إلاّ أنها كبيرة سميكة وأعطوني في مقابل كل (٣٠) جنيهاً استرلينيا (٤٨٠) روبية أي كل ريال سعودي يساوي روبيتين ونصفا من عملتهم وقد فوجئت اذ وجدت انه مكتوب فيها باللغة العربية وبخط جميل « الدولة المحلديبية » هكذا كتبوا اسمها الرسمي (مالديف) على كل الأوراق الرسمية .

في وزارة العدل :

كانت الفقرة التالية في برنامج اليوم هي زيارة السيد موسى فتحي وزير العدل في مكتبه في الوزارة ، وما أن وصلنا الى مقر وزارة العدل في بناء مكوّن من طابقين أبيض الطلاء لا يكاد يميزه عن البنايات الأخرى مميز حتى تقدمت فتاة فحيت ثم أشارت بالصعود الى الطابق الثاني وكان في الطابق الأرضي جمع من الموظفين والموظفات ملفت للنظر اذ أكثرهم كان يعمل في القاعات والممرات في البناء ربما

لضيق المكان وفي الطابق الثاني كان هناك أيضاً بعض الموظفين والموظفات يعملون قرب الممرات ثم أشارت المضيفة الى غرفة الوزير ووقفت ولم تدخل وهكذا كان شأنهم في كل المؤسسات التي زرتها ألا يدخل المرافق مع الضيف فاستقبلني وزير العدل السيد موسى فتحي ورحب بعربية فصيحة واضحة وقال : إنني أعرف العربية جيداً لأنني كنت قد تعلمت في مصر ، وتحدث عن عمل وزارة العدل وأنها تختص بشؤون المحاكم فقط وقال : إن القضاء فيما يتعلق بالأحوال الشخصية يتم وفقاً للشريعة الاسلامية غير أننا نعاني نقصاً في عدد القضاة المؤهلين تأهيلاً إسلامياً . ثم ودعته وانصرفت .

وبهذا انتهى البرنامج الرسمي في هذا اليوم لما قبل الظهر وعدت الى دار الضيافة ثم كان اتصال هاتفي لتحديد موعد للمتخرجين من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة غداً.

في سوق العاصمة :

كنت أود أن أشتري من بعض الحوانيت شيئاً من التحف أو المصنوعات المحلديبية الخفيفة إن وجدت فأخبرت الأخ المرافق فايز اسماعيل فقال : إنني أمر عليك في الساعة الخامسة بعد العصر . وقد حضر بالفعل في الموعد المحدد . كان أول ما وقفنا عنده حانوتاً لبيع التحف المحلية وأكثرها من المستخرجات من البحر كالأصداف والودع وظهور السلاحف المصقولة، وأشياء أخرى كثيرة غريبة من الأحياء البحرية ومجموعات كثيرة من الأصداف الى جانب المصنوعات المستخرجة من نخيل النارجيل من قوارب صغيرة وأكواب وسلال .

وهي كلها لا تدل على مهارة كبيرة في الصناعة اذ أن أنواعها ليست كثيرة وإنما الكثير المتعدد هي أنواع الأصداف والأحياء البحرية الأخرى .

وسألت فيما سألت عنه عن الودع الذي ذكر ابن بطوطة أنه كان العملة المنتشرة في هذه البلاد وأنه هو العملة الوحيدة فيها اذ لا يوجد عندهم دنانير من الذهب ولا دراهم من الفضة ولا فلوس من النحاس في ذلك الوقت فأسرع صاحب الحانوت



سوق القوارب على شاطىء البحر في العاصمة مالي

وهو يأخذ قبضة منها من كيس كان مملوءاً بها وهي من الودع الصغير الأملس الجميل فأخذت بعضها على سبيل الذكرى كما اشتريت بعض الأصداف البحرية اللامعة ولولا الخوف من الثقل في الحمل لأخذت أكثر من ذلك .

وكان السوق مزدحماً بالاوربيين والأمريكيين من السياح من الرجال والنساء ومن أغرب ما رأيته فيهم أن رأيت رجلاً وامرأة من الاوروبيين يبين عليهم الثراء والغنى وهما يمشيان في شوارع الجزيرة حافيين على حين أن الوطنيين كلهم حتى الفقراء لم أر أحداً منهم يمشي بدون نعال .

كيلو السمك بربع ريال :

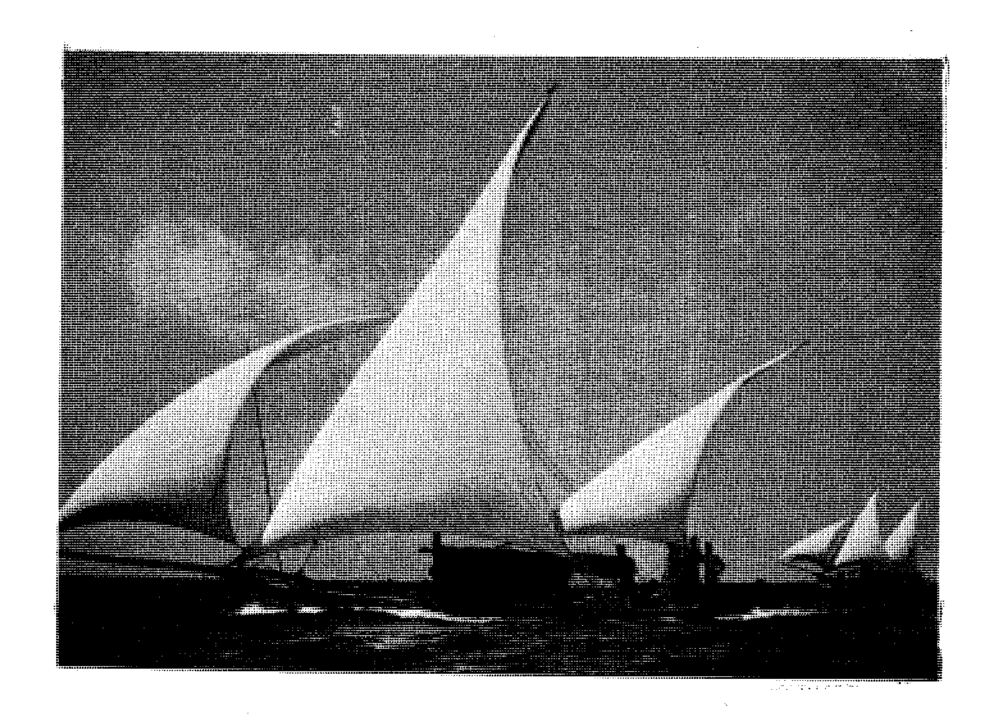
مررنا بذلك السوق العجيب المؤلف من قوارب قادمة ببضائعها من الجزر الأخرى كما ذكرت أمس وأضيف أنني رأيت بعضهم اليوم يطبخ عشاءه على القارب يوقد تحته الخطب وهو يبيع ويشتري فهو اذا يتخذ من هذا القارب حانوتاً ومطبخاً .



في سوق السمك في العاصمة مالي

ومن هناك طلبت من الذين معي وهما السائق والموظف أن يدلاني على سوق السمك فأوقفا السيارة عند سوق مسقف واذا بالناس يشترون السمك وأغلبه من الفاخر الفضي اللون الذي هو أغلا أنواع السمك في بلادنا . وقد سألت عن قيمة الكيلو الواحد منه ؟ فقالا : إنه لا يباع بالوزن وانما يباع جزافا ، فرأيت أحدهم انصرف وقد اشترى سمكة علقها بيده فسألته عن ثمنها فقال المرافق إنه يقول : إنه اشتراها بروبية ونصف ولم أصدق ذلك لأن نوعها جيد وحجمها كبير، وهي بلا شك عندي تزن كيلوين او تزيد عنها قليلاً مع العلم بأن ثمنها الذي هو روبية ونصف يزيد قليلاً عن نصف ريال سعودي لأن الريال السعودي يساوي روبيتين ونصفاً من روبيات (محلديب) وعلى هذا يكون الكيلو من هذا السمك الفاخر بربع ريال على حين أن مثله في بلادنا يساوي ثمانية عشر ريالاً .

ما أرخصه . ولكن هناك شيء آخر رخيص جداً وهو :



السفن المالديفية القديمة

الزواج :

ذكرت عندما عرفت قيمة السمك في هذه البلاد ما ذكره لي القائم على شؤون دار الضيافة الذي هو الموكل بالطعام والشراب بأنه قد تزوج منذ سنة واحدة ، ولما سألته عن مقدار ما دفعه من المهر ؟

أجاب بأنه مائة روبية !!!

ولا شك أنك تذكر ما سبق أن قلته لك عن قيمة الروبية في بلادهم وأزيدك ايضاحاً بأن المهر اذاً يساوي أربعين ريالاً سعودياً . ولكن سيكون عجبك أكثر حين تعلم أنني سألت الطاهي في دار الضيافة بعد ذلك أهو متزوج فقال : نعم قريباً جداً ولذلك ليس عنده أولاد فقلت له : كم دفعت مهراً ؟ فقال : خمس وعشرون روبية ! أي عشرة ريالات سعودية فقط مع أن زوجته بكر وفي الصباح سألت الشيخ محمد زاهر حسين عن حقيقة ما ذكره فقال : هذا صحيح لقد تزوجت أنا نفسي بأرخص من ذلك باحدى وعشرين روبية ، فقلت له : إنني لن أسأل احداً بعد ذلك

اذ اخشى أن يكون قد تزوج بالمجان . فضحك وقال : ألسنا أحسن حالاً من سيلان التي لا يتزوج فيه الرجل المرأة الا بعد أن تدفع اليه مهراً !!!

وبهذه المناسبة تبادر الى ذهني مقدار المهر الذي دفعه أحد أقاربنا ويزيد على (٥٠) الف ريال فحسبت ذلك ووجدت أنه يكفي لمهر جميع النساء اللاتي في سن الزواج في هذه الجزيرة التي يبلغ سكانها (٣٢) الفاً بالمعدل الذي ذكروه .

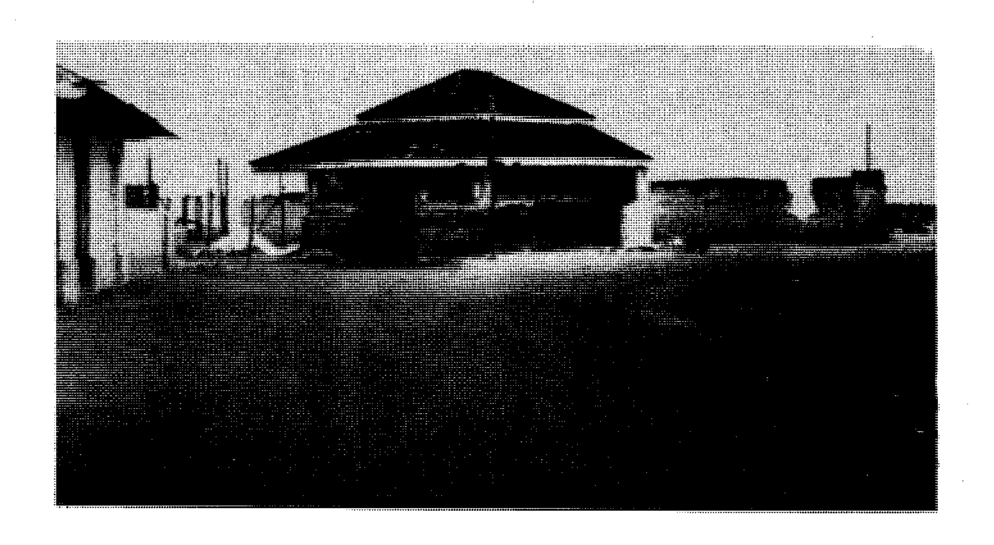
جولة أخرى في العاصمة :

لا تنقضي الرغبة في التجول في هذه العاصمة الصغيرة لدولة (محلديب) رغم أن البحر يحاصرها ويحيط بها من كل جانب . وطلبت من السائق أن يحاول أن يسلك بنا طريقا او لنقل طرقاً غير الطرق التي سلكناها أمس لأنه كان يسير بنا سيرا متعرجا ليرينا أكبر مساحة ممكنة من الجزيرة .

وقد فعل ذلك اذ جال في أماكن متعددة وقد رأيتهم يصنعون فيما يصنعونه ألّا يرموا بالقمامة والنفايات الصلبة كما قد يفعل غيرهم في البحر وانما يضعونها اكواماً بجانبه مباشرة وذلك لاستعمالها في ردم البحر الضحل وزيادة مساحة الأرض اليابسة في العاصمة لحاجتهم الى زيادة الأرض .

وقد رأيت اليوم ما رأيته بالأمس من كون سكان البيوت عدا الرجال الكبار وبخاصة النساء منهم عند أبواب بيوتهن واقفات يرقبن المارة ، ورأيت كثيراً من بيوتهم مفتحة الأبواب فوجدت أنها نظيفة الى حد جيد وأنها ذات أحواض وأفنية بعضها واسع وبعضها مناسب وذلك رغم صغر مساحة الجزيرة ، وعدم اتساعها كما يلاحظ أن لون طلاء البيت هو الأبيض وأنهم يبنون بيوتهم بحجارة بحرية صغيرة تكون في مثل حجم لين الآجر الصغير ويربطون بينها بمادة جصية ثم يطلونها بطلاء أبيض .

وفي كثير من البيوت تكون أسوار الأحواش من الحصر المنسوجة من سعف النارجيل وكذلك الحواجز بين بيت وآخر في بعض الأحيان . وقد رأيت في بعض البيوت غرفاً إضافية مبنية من عيدان ربطت بها الحصر الغليظة وثبتت بالحبال وإن كان البيت من الحجارة البحرية .



«عيد مسكى» أي مسجد العيد أقيم هذا المسجد خصيصاً لصلاة العيد وشيده السلطان محمد معين الدين عام ١٨١٥م ومن الخلف سور الحصن القديم في مالي وقد أزيل السور في عام ١٩٦٥م تقريباً

ومع الضيق الشديد في مساحة الجزيرة وأنه لا يكاد يوجد فيها أرض من الفضاء مخصصة للبناء فإنه يوجد فيها عدة ميادين وحدائق كما أن شوارعها واسعة منبسطة ولا تعطي دليلاً على ضيق الأرض بل إنها أوسع من الشوارع في بعض المدن الصغيرة في الصحراء الشاسعة إلاَّ أنه لا توجد شوارع ذات اتجاهين والسبب في ذلك ظاهر فهو راجع مع ضيق الأرض الى قلة السيارات .

أما الشوارع فإنه لا يكاد يوجد فيها اسفلت ولكن لا تثير أيّ غبار ولا يصاحب سير السيارات عليها لأنها أرض رملية بيضاء ندية والسيارات التي تسير عليها قليلة فيبدو بعضها وإن كان ابيض اللون كأنه المسفلت إلاَّ أنه يوجد في بعضها حفر ويعالجون ذلك برصّاصة رأيت عاملاً ممسكاً بها بيده وهي تسيرها آلة قوية فتزيل هذه المنخفضات أو كما يقال : (المطبات) الصغيرة .

كما أنني لم أر في هذه الجزيرة التي هي عاصمة دولة مالديف أيّ أثر لأيّ حيوان يمشي غير الانسان ما عدا بعض القطط ، وأما حيوانات اللحم فغير موجودة فلم أر بقرة واحدة ولا عنزا ولا خروفاً وذلك بسبب ضيق الأرض وانعدام المراعي في

العاصمة نفسها . ولا أدري من أين يحصلون على اللبن إلَّا اذا كانوا يكتفون بما يصنعونه من النارجيل كما ذكره ابن بطوطة اذ قال : إنهم يستخرجون منها اللبن .



صورة رقم (٢٧)



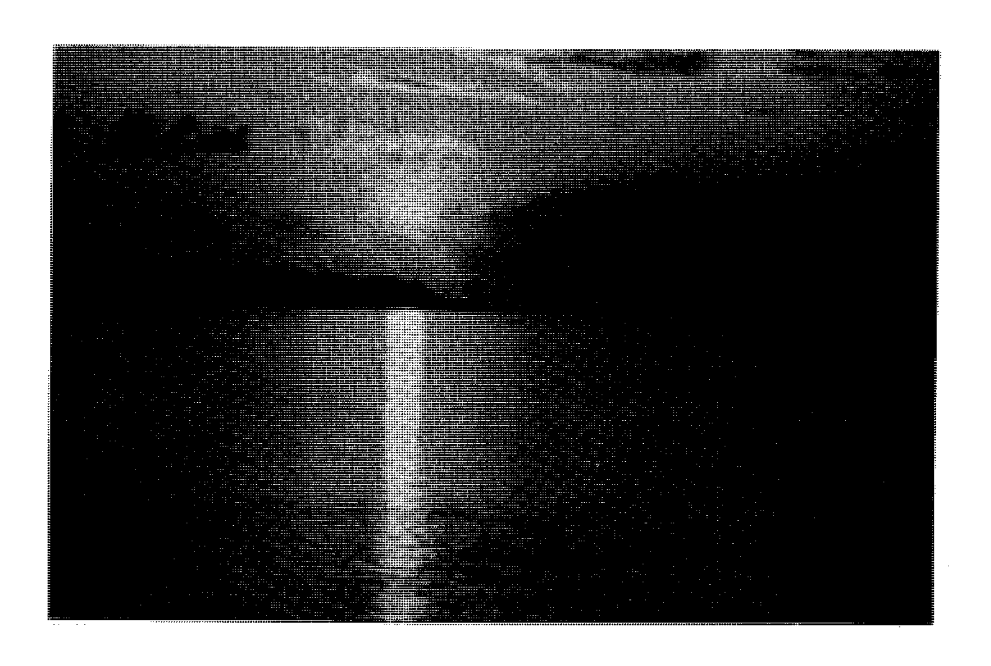
جزيرة فاروكو لوفوسي التي تقع شمالاً من جزيرة المطار

والأشجار في هذه الجزيرة ليست كثيفة رغم أنها لا تحتاج الى مجهود في اروائها لأن الأمطار في الفصول المطيرة غزيرة جداً وحتى في الفصل الجاف الذي هو هذا الفصل تهطل في بعض الأحيان ولكنهم كانوا قد قطعوا بعض الأشجار بسبب الحاجة الى الأرض اليابسة .

لا يشعر المرء هنا بالوحشة :

رغم أن السكن في جزيرة صغيرة يحيط بها البحر من جميع جهاتها قد يوحي بالوحشة ، إلّا أن الأمر هنا في مالديف مختلف تماماً فالمرء يعيش في جزيرة صغيرة إلّا أنها ليست منعزلة عن الجزائر الأخرى فهو يشاهد وهو فيها عدداً من الجزر الأخرى الخضراء ذات الأشجار السامقة والخضرة القاتمة وإن كان يراها كأنها عائمة في البحر وكأنما هو في سفينة يشاهد سفينة أخرى .

أما منظر غروب الشمس بين جزيرتين من الجزر التي تقع الى الغرب من جزيرة خزان النفط وجزيرة أخرى ، فإنه منظر بديع لا يستطيع القلم وصفه مع أن الجزيرتين غير متلاصقتين .



غروب الشمس في إحدى جزر مالديف

يوم الجمعة : ٨ محرم ١٣٩٨هـ - ، ٨ / ١٢ / ١٩٧٨ م .

مع خريجي الجامعات السعودية :

حضر الى دار الضيافة بناء على موعد سابق في الساعة التاسعة من صباح اليوم وفد المتخرجين من جامعات المملكة الموجودين في الوقت الحاضر في (مالديف) يتقدمهم الشيخ آدم نسيم الذي تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين في المدينة المنورة وقد اختاره رئيس الجمهورية الشيخ مأمون عبد القيوم ليعمل لديه حينما انتخب رئيساً للجمهورية بنسبة عالية جداً بلغت ٩٢٪ كانت من مجلس النواب ثم صوت الشعب بالموافقة على ذلك .

وعدد الحاضرين هو ثلاثة أشخاص هم محمد ابراهيم ويقوم بالدعوة الى الله حسب امكانه وبالتعليم في بيته لأن الحكومة السابقة كانت قد حرمت الوعظ والارشاد والدعوة في الجمهور والشيخ عثمان عبدالله العمري ويعمل أيضاً في الدعوة .

وقالوا جميعاً ، إنّ من أهم المشكلات التي تواجههم في الوقت الحاضر هو عدم التعليم الديني في المدارس وكذلك لا يوجد تعليم اهلي خاص بالعلوم الاسلامية كما هو موجود في أكثر البلدان ، وذلك لأن الحكومة السابقة كانت قد منعت مثل هذا التعليم وعندما أنشأ المتخرجون من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة مدرسة إسلامية أسموها مدرسة (طيبة) في العاصمة مالي صادرتها الحكومة السابقة ومنعت التدريس فيها وسجنت أحد مؤسسيها وهو الشيخ حسين علي يوسف حتى خرج من السجن وأقام في باكستان . ولكنهم يؤملون في الحكومة الحاضرة خيراً لا سيما أن رئيس الجمهورية من خريجي الكليات الاسلامية .

فقلت لهم : إنه يمكن القيام بتأسيس معهد ديني عربي كما هو موجود في المملكة أو مصر وطلب المساعدة من الدول العربية على ذلك على أن تعد برامجه بحيث يمكن أن يلتحق خريجوه بالجامعات الاسلامية في العالم العربي : ويعودوا بعد ذلك مؤهلين لتولي التدريس والوظائف القضائية ، وقلت لهم : إنكم اذا لم تفعلوا ذلك فإنكم ستجدون أنفسكم في وضع يشبه الوضع الذي وجد فيه أهل بعض البلاد الاسلامية أنفسهم عندما ألغوا التعليم الديني المحض فأصبحوا لا يجدون مؤهلين لتدريس

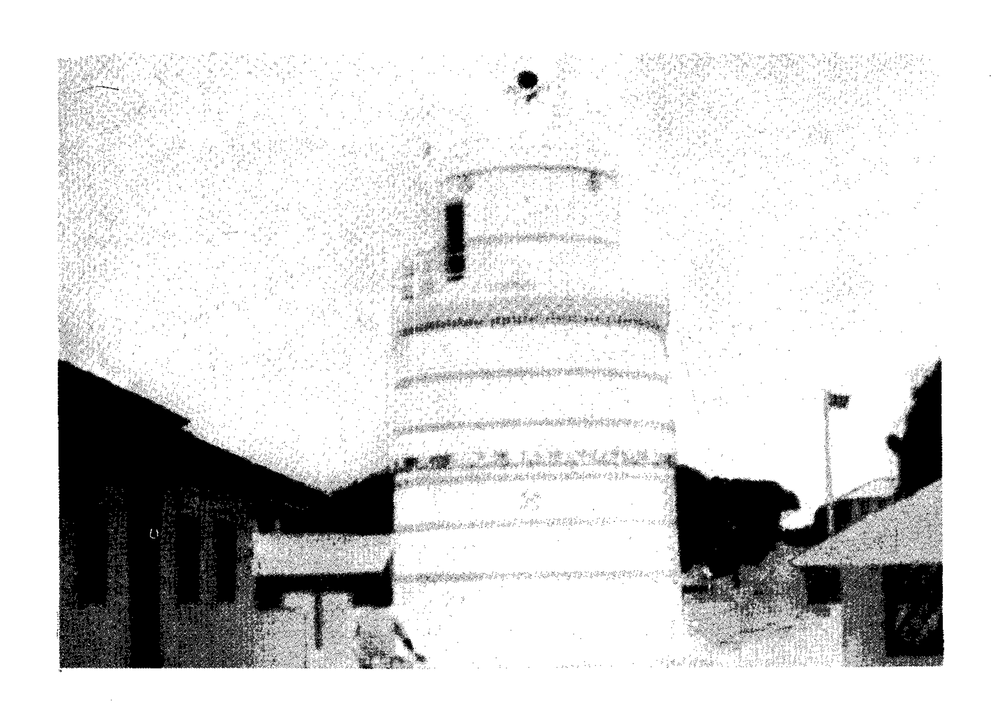
المواد الدينية ولا الوعاظ الشرعيين لأنه اذا انقطع التعليم الديني فمن أين يأتي الناس بعلماء الدين في هذا العصر الذي انقطع فيه التعليم في المساجد أو كاد؟

وقد وافقوا على هذا وأعلنوا أنهم سوف يسعون الى إنشاء المعهد المذكور . ثم تناول الحديث طائفة من حاضر هذه الجزر وتأريخها القديم .

من السفارة الليبية :

كان الأستاذ حسن قريرة سكرتير السفارة الليبية وهو المسؤول عنها في غياب القائم بالاعمال الذي هو الآن في إجازة في ليبيا قد اتصل بي بالهاتف عندما علم بقدومي الى هذه الجزر طالباً موعداً للقاء وفي تمام الساعة التاسعة والنصف كان موجوداً في دار الضيافة وكان مما قاله : الحقيقة أنه لولا الناحية الاسلامية في هذه البلاد لما كان لنا أن نفتح فيها سفارة لأنه لا علاقات اقتصادية ولا مصلحة سياسية لنا فيها بل في كل المنطقة الآسيوية هذه ما عدا شيئاً من الشاي نستورده من سيلان وبعض العمال نأخذهم منها ويمكن لنا أن نحصل على ذلك كله من السوق العالمية ما دامت العملة الصعبة موجودة . ولكنها الناحية الاسلامية وقال : إنه لا توجد هنا إلّا ثلاث سفارات واحدة عربية وهي الليبية والثانية اسلامية وهي لباكستان والثالثة مجاورة وهي للهند . وقال : إن هذه البلاد قد كانت لها علاقات سياسية اقتصادية مع حكومة اليهود في فلسطين غير أنه بضغط من المتخرجين من جامعات البلدان الاسلامية وبدافع المصلحة قد قطعت هذه العلاقات عام ١٩٧٥م .

ثم تحدث طويلاً عن العمل في هذه البلاد وقال : إنه أمضى هنا ثلاثة عشر شهراً وأنه سوف يحصل على إجازته بعد شهر ، وسيمر على المملكة في طريقه الى ليبيا . وقال إن العمل من الناحية المجردة في هذه الجزيرة متعب لأن كل شيء يستورد من الخارج حتى الخضروات التي لا توجد هنا تباع وإنما يمكن لزملائنا في سيلان أن يرسلوا إلينا بالطائرة هدية من الخضروات كما أن الجزيرة محدودة المساحة ضيقة الرقعة ولا يستطيع المرء أن يجد فيها ناحية يقضي فيها إجازته إلّا أن الجزر الأخرى يمكن أن تقوم بذلك لأنها متعددة ومتنوعة ، ولهذا السبب كان عند السفارة قارب تستخدمه خاص للوصول الى بعض الجزر وقضاء الاجازات فيها .



منارة مسجد الجامعة في العاصمة أول جامع في مالديف بني عام ١٦٦٨م

في جامع مالي الكبير

كان من ضمن البرنامج أداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير القديم ولم أكن دخلته وإنما مررت به في أول يوم فتركت الدخول اليه من أجل أنني سوف أراه هذا اليوم الجمعة إلَّا أنني عندما صليت فيه لم أجد ذلك يكفي فهو مسجد قديم مليء بالكتابات العربية ووضعه غريب يستحق التأمل ووجدته مليئاً بالمصلين ولا يمكن التجول فيه إلَّا بعد أن يخفوا منه والبرنامج ضيق بعد هذا الظهر لذلك فضلت أن أتجول فيه في صباح الغد .

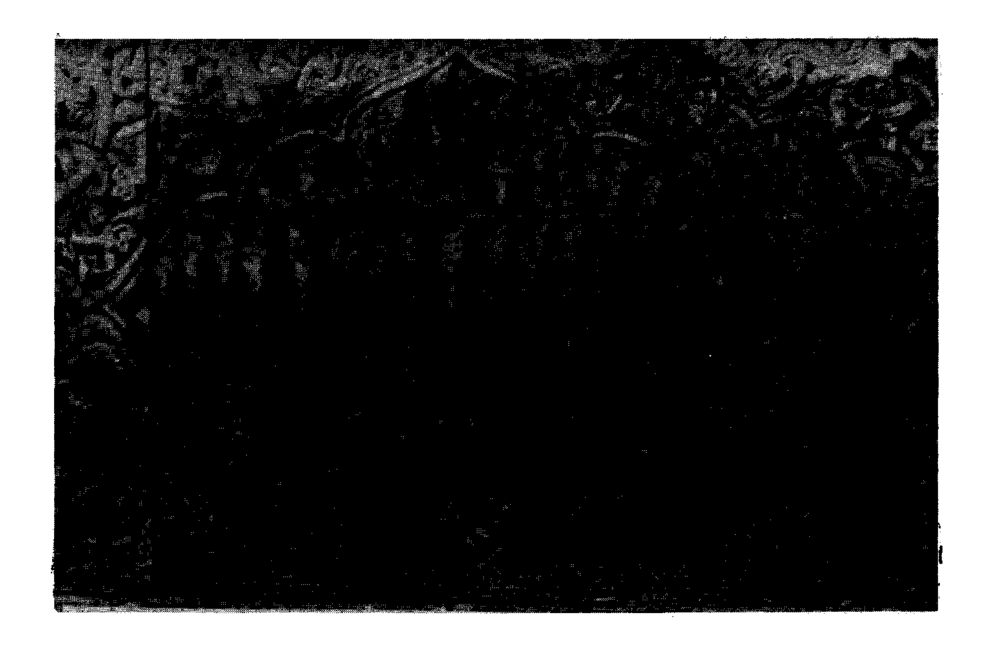
مرّ عليّ الأخوان الشيخ محمد زاهر حسين وفايز اسماعيل في دار الضيافة فخرجنا على السيارة الرسمية الى المسجد مع أنه ليس بعيداً منها ولكن ركوب السيارة في هذه الجزيرة هو نوع من الحفاوة والتكريم جزاهم الله خيراً .

ولمّا وصلنا المسجد كان أفواج المصلين لا يزالون يصلون اليه مع أنه كان غاصاً بالناس حتى إن بعضهم كان في الشمس أو على حدود الشمس مع أن الشمس استوائية حارة في هذه البلاد .

وقد رأيت طائفة من الأطفال والأولاد الصغار وقد حضروا الى المسجد ومع كل واحد جزء من أجزاء عمَّ وبعضهم معه مصحف وهو ينظر اليه كالذي يتلو منه إلَّا أنهم لا يجهرون بالقراءة كثيراً .

وعند باب المسجد الداخلي كانت نعال القوم صفوفاً منتظمة ولكن كان أكثرها أو كلها من النعال الخفيفة لأنها هي التي تناسب الجو ولا يحتاج في أرضهم لغيرها . وعندما أردت ترك حذائي خارجاً سألت الأخ الشيخ محمد زاهر حسين عما اذا كان يخشى عليه من أحد هنا ؟ فأجاب : مطلقاً ، لا يحدث هذا أبداً .

ودخلنا الى داخل المسجد فوجدناه غاصاً بالمصلين فاخترقنا الصفوف الى جزء من داخله ظننته آخر المسجد واذا بي عندما وصلت الى نهايته أجد باباً لما يشبه المقصورة او الحجرة الصغيرة في مقدمة المسجد فدخلت فيها وأنا أتابع الشيخ محمد زاهر حسين فأجدها هي نهاية المسجد تتسع لحوالي ستة عشر مصلياً فيها المنبر والمحراب ومكان الخطيب وهي أشبه بالحجرة المعزولة لكنها ذات نوافذ شارعة الى المسجد إلَّا أنها محجوزة بقضبان خشبية قوية .



زخارف من الخشب المحفور من داخل جامع العاصمة (مالي)

ويظهر أن هذه الحجرة الأمامية كانت مخصصة لصلاة السلاطين وولاة الأمور في القديم واليوم لا يسمح لكل شخص أن يصلي فيها بل لا يصلي فيها إلَّا قوم مخصوصون غالباً ما يكونون من كبار المسؤولين ووجهاء الناس .

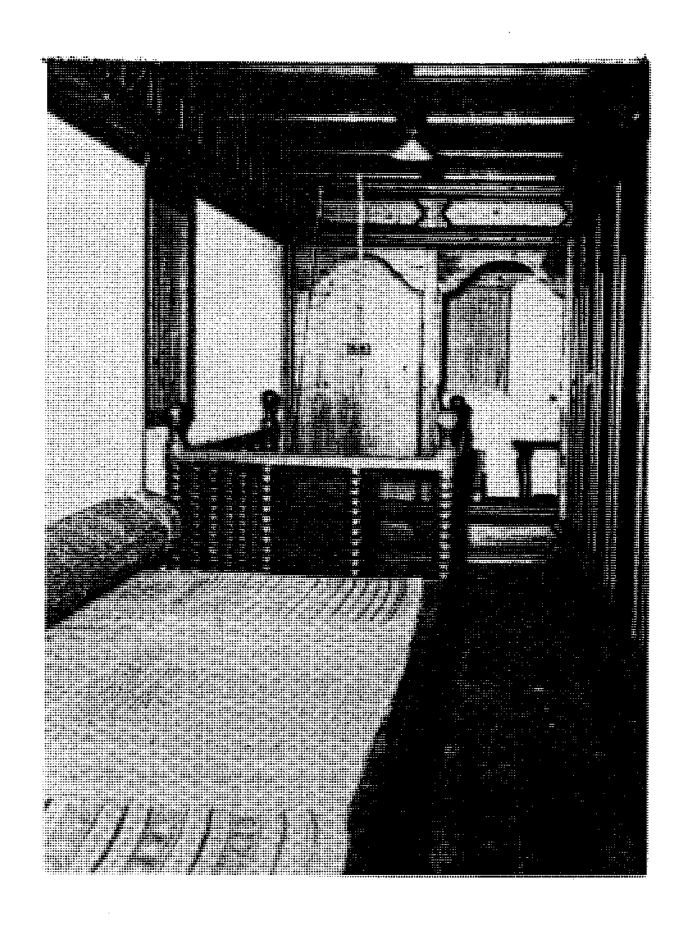
وقد وصلنا قبل موعد مجيء الامام بحوالي ثلث ساعة وهي مدة كافية لتلاوة سورة الكهف كاملة وكان الناس في المسجد هادئين حتى في قراءتهم القرآن وكلهم نظيفو الثياب ، مطرقو الرؤوس يبدو عليهم الخشوع ، والذين لم يكونوا يقرأون القرآن فيهم كانوا يحركون شفاههم بالدعاء أو الذكر والتسبيح .

وبعد فترة سمعت من مؤخرة المسجد عبارة (السلام عليكم) بصوت مرتفع . فلم أدر لماذا حتى عرفت أنها لقدوم الخطيب . فلم يكن له باب مخصص يدخل منه الى المنبر مباشرة كما هو في أكثر المساجد في العالم الاسلامي وقد دخل من باب الغرفة التي دخلنا منها .

وعندما وصل الامام لم يؤذن المؤذن النداء الأول كما كان يفعل أكثر الناس في الأمصار العربية ومنها الحرمان الشريفان وانما قصد المنبر ووضع عليه نظارته وأوراقاً معه تبين فيها بعد أنها مكتوبة فيها الخطبة . ثم قصد مكاناً كان خالياً من قبل بيني وبين الشيخ محمد زاهر حسين خلف مكان الامام مباشرة . فأخذ يصلي تحية المسجد ركعتين وكنت قد جزمت بأنه ليس الامام أو الخطيب لأن المعتاد أن يقصد الخطيب المنبر مباشرة ، وبعد أن صلى ركعتين شفعهما بركعتين أخريين ثم جلس يسبح ويهلل سرّا حوالي ربع ساعة ثم نهض وصعد المنبر وقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه المؤذن وكان قد وقف أمامه قائلاً « وعليكم السلام ورحمة الله » وذلك بصوت مرتفع ابتدأ بعده بالأذان من المكبر بصوت شجيّ فصيح لا لكنة فيه ولا عجمة وهذا كان دأبهم في القراءة للصلاة ايضاً .

فإمام المسجد الذي بقرب دار الضيافة يقرأ القرآن بصوت واضح ويخرج الحروف الحلقية كما يخرجها العربي تماماً لا كما يخرجها بعض أهالي الهند وسيلان الذي يصعب عليهم أحياناً التلفظ بالحروف الحلقية كما ينبغي .

ولما انتهى من أذانه الشجي نهض الامام واقفاً وأخذ بيده اليسرى عصا من المعدن أو الحديد الأبيض كانت موجودة في المنبر من قبل وبيده اليمنى أوراقاً يقرأ منها



ركن من داخل الجامع في العاصمة (مالي)

الخطبة . فابتدأ بلغة عربية سليمة لمدة ٣ دقائق أو نحوها ثم أخذ يخطب باللغا المالديفية لفترة حسبتها طويلة لكوني لا افهم معنى الخطبة ولكنها في الواقع ليست كذلك .

ثم أنهى الخطبة الأولى وجلس وفي أثناء جلوسه رفع يديه يدعو سرّا ورفع الناس أيديهم مثله يدعون سرّاً .

ثم نهض للخطبة الثانية وفعل مثل فعله في الأولى أي : خطبة بالعربية لفترة قصيرة ثم جعل يخطب بالمالديفية حتى انتهى من الخطبة ونزل من المنبر .

فقال المؤذن في مكبر الصوت (سووا الصفوف على سنة رسول الله) . ولم يفعل الامام ذلك كما هي العادة في أكثر البلدان الاسلامية .

ثم قرأ الامام سورتين قصيرتين في الصلاة . وهم يجهرون بالتأمين ولكنهم لا يرفعون أصواتهم رفعاً شديداً كما يفعل أهالي سيلان .

وبعد أن فرغ من الصلاة لم يلتفت الى المأمومين بل استمر وكأنه لم يفرغ من الصلاة وأخذ بالتحميد والتكبير فيما يظهر في السرّ لأن الناس الذين خلفه كانوا يفعلون ذلك وإلاّ فإنني لم أسمعه ولا أحد غيري يسمعه . وانتظرت أن ينتهي من ذلك ولكنه استمر حتى رفع يديه يدعو سرّا فقال المؤذن بصوت جهوريّ يسمع أهل المسجد (آمين يا رب العالمين) ولم أقل مثله لأنني لا أدري بماذا يدعو الامام ولا احد يدري بماذا يدعو لأنه يسرّ الدعاء ولا يجهر به . فلما وضع يديه بعد أن كان قد رفعهما قال المؤذن بصوت جهوريّ أيضاً (الحمد لله) وقلت في نفسي : ها قد انتهى وانتهى هذا الانتظار الذي أخذ من الوقت مقدار الصلاة في الزمن ولم ينصرف أحد من الناس او يتزحزح من مكانه أو يأخذ في صلاة النافلة ، ولكن الامام عاد الى سكوته وكأنه يسبح ويهلل أو يدعو فلا أحد يسمعه ، وبقي الناس كذلك ساكتين وبعضهم يهمهم بالتسبيح أو الدعاء حتى رفع الامام يديه مرة ثانية فرفع المؤذن صوته قائلاً يسمع أهل المسجد (آمين يا رب العالمين) وعندما وضع الامام يديه قال المؤذن كالمرة الأولى (الحمد لله) . وعاد الامام يفعل مرة ثالثة كما فعل في المرتين الأوليتين ، وفعل المؤذن كما فعل أيضاً في المرة الأولى من التأمين عندما رفع الامام يديه ، وفي التحميد عندما يضعهما هذا والامام لا يسمع الناس شيئاً ولا يدري أحد على وجه الحقيقة ما يقول وكنت قد عيل صبري حتى كدت أقوم وأودي السنة خلاف عاداتهم لأنني سئمت من هذا الذي لا معنى عندي له فلو كان يجهر بالدعاء ويسمع الناس لكان شيئاً معقولاً وإن لم يكن من السنة في شيء أن يحبس الناس هو بعد فراغ الصلاة .

وبعد أن فرغ الامام بعد طول انتظار سارع الناس الى الخروج من المسجد دون أن يصلي أكثرهم سنة الجمعة ركعتين . وربما كانوا يصلونها في بيوتهم .

وسلمت على الامام وخيّل اليّ أنه هو رئيس الجمهورية نفسه وإن السبب في كوني لم أتأكد من معرفته هو لكونه يلبس الآن ملابس تشبه الملابس الأزهرية إلاّ أنني عندما خرجت من المسجد سألت الأخ الشيخ محمد زاهر حسين عنه فقال : انه أخو رئيس الجمهورية .

السّمك باللبن :

هذا أحد أطباق الغداء اليوم في دار الضيافة ، وقد يقول قائل : وما وجه الغرابة في هذا ؟ والجواب : إن الغرابة تأتي من طبخ السمك باللبن ، والنحاة الأولون يقولون : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » والأطباء الأولون ينهون عن الجمع بين اللبن والسمك في الطعام . وتأتي الغرابة ايضاً من كون هذه الجزر لا لبن فيها ، فليس عندهم بقر ولا غنم يؤخذ منها اللبن وانما يوجد بعض الحليب المعلب . ثم إنّ هذا اللبن طعمه غير طعم اللبن المعتاد ولذا سألت الطاهي عن هذا ؟ فقال : إنه السمك مطبوخ بلبن النارجيل . فقلت : ان النارجيل شجر وليس حيواناً حتى يكون له لبن فقال : ولكننا نستخرج منه لبناً نشربه اذا أردنا وندخله في الطبخ اذا اشتهينا . وهكذا لا تنقضي عجائب شجرة النارجيل هذه التي يؤخذ منها حتى اللبن .

ساعات من المتعة ، أو رحلة في الصحراء البحرية :

كان برنامج الزيارة يتضمن رحلة الى إحدى الجزر للاطلاع على طبيعة هذه البلاد وكيفية وجود الجزر فيها وهو الأمر الذي جعلها عند ابن بطوطة وغيره من عجائب الدنيا .

وابتدأت في الساعة الثانية والنصف ظهراً حيث غادرنا ميناء جزيرة العاصمة (مالي) على قارب بخاري سريع متجهين صوب الشرق . وكان معي في القارب الشيخ زاهر حسين والأستاذ فايز اسماعيل وتسعة أشخاص آخرون منهم الشيخ محمد لطفي وكيل الشيخ زاهر حسين في وزارة التربية والتعليم .

فسار القارب مسرعاً ، وهو يقفز في بعض الأحيان وينزو أحياناً اخرى ، وتذكرت عند ذاك السيارات القديمة في صحرائنا العربية التي تفعل مثل ذلك في الأرض الرملية او الأرض الخشنة ومنذ أن بدأنا السير حتى وصلنا الجزيرة التي نقصدها وهي جزيرة « هورا » لم نفقد الجزر الخضراء مطلقاً فكنا نلمح بعضها على أيماننا وبعضها على أيسارنا ، وأسألهم عن جزيرة من الجزر فيقولون : هذه صغيرة لا تسكن وأخرى فيقولون ، هذه فيها فندق سياحي ، وثالثة : فيقولون : هذه فيها

بيوت للسياح مخصصة لهم وأخرى بعيدة فيقولون ويقولون والجزر لا تنفد ، والقول عنها كذلك لا ينفد . وأينما اتجهت ببصرك الى جهة الأمام أو الخلف ، واليمين والشمال فإنه لا بد واجد جزيرة خضراء تبدو فيها فروع أشجار النارجيل متشابكة متعانقة كأنها على البعد واحة في الصحراء . وهي كذلك بالفعل فهي مراكز للحياة وللمياه العذبة في هذه الصحراء البحرية ذات المياه الزرقاء الداكنة ، إلاَّ أن من الحكمة الالهية أن معظم الجزر تحيط بها جدران طبيعية من الصخور المرجانية تمنع عنها المياه العميقة وتجعلها تبدو وكأنها في غلالات خضراء باهتة من المياه الضحلة التي تنعكس أشعة الشمس على أرضها الرملية البيضاء فتعطي ذلك اللون البهيج ، وتتكسر أمواج مياه المحيط على تلك الجدران الطبيعية التي تقف على حدود سطح الماء فلا يصل الى الجزر منها شيء . إنها تماماً تذكر المرء الذي عاش في الصحراء مثلي بالصحراء العربية التي تتناثر فيها الواحـات الصغيرة إلاَّ أن هناك أوجهاً للفرق مثل ما أن هناك أوجها للشبه فالفروق أن صحراءهم هذه البحرية الزرقاء حافلة بالحياة فلا يجوع فيها الانسان الذي يحسن الصيد مطلقاً وقد كفلت لسكانها الغذاء على حين أن صحراءنا اذا شح مطرها وأجدب أديمها أصبح البقاء على قيد الحياة فيها أمراً لا يقوى عليه إلاَّ قلة من الأقوياء .

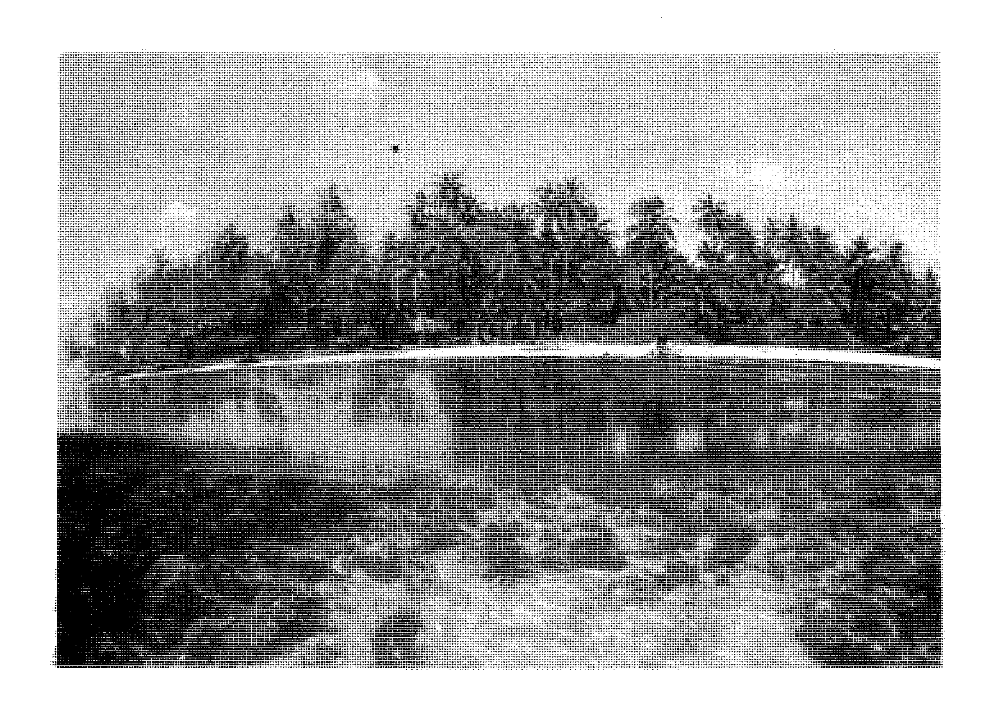
وأمر آخر وهو أن هذه الصحراء البحرية تبتلع من يوقعه سوء حظه في هاويتها



جانب من جزيرة فاروكوروفسي إلى الشمال من جزيرة المطار

على حين أن صحراءنا البرية ـ وبخاصة في هذه الأزمان المتأخرة لا تبتلع أحداً .

وبينما أنا في تفكيري هذا إذا بقفزة من القارب البخاري تعيدني الى صوابي واذا بي أرى الركاب ينظرون اليّ فأسألهم لماذا قفز القارب ؟ فيجيب أحدهم وقد أخذ العربية في مصر : بقوله : الهواء الهوا جامد ـ يريد بذلك أنه شديد ـ ولم يتذكر أن الهواء لا يجمد ولو جمد لكان هو أول من يموت . وأترك النظر الى الأمام فأنظر الى الخلف فأرى الجزر التي خلفناها متناثرة وألمحها من الجانبين كذلك فأشعر بمنظر لا ينسى جماله ولا تحد غرائبه فأنت أيضاً أينما توجهت رأيت على البعد أو على القرب جزيرة صغيرة خضراء وقد برزت من البعيد فروع أشجار النارجيل وهي تبدو كعرائس البحر التي نشرت ذوائبهالتخيف المسافرين ، او لتجتذب الى شباكها الواهين .



ساحل إحدى جزر مالديف

رحمك الله يا ابن بطوطة :

وعندما رأيت هذا المنظر ذكرت ابن بطوطة وترحمت عليه عندما قال صادقاً : إنها من عجائب الدنيا ، وذكرته أكثر عندما فطنت الى رجل كان واقفاً على مقدمة

المركب الى الامام وكانت وظيفته أن يهدي السائق الى الطريق لأنه من أهل المنطقة ، وذكرت ابن بطوطة اكثر من ذلك عندما قربنا من الجزيرة التي نقصدها واذا بقارب عليه ستة رجال يجدفون من أهل الجزيرة بالمجاديف وهم يستقبلوننا في المياه الضحلة ويشيرون الينا أن تقدموا أو تيامنوا ، أو تياسروا لأن أيّ رجل من غير أهلها لا يستطيع أن يعرف الطريق الصحيح الى المرسى فيرتطم أسفل قاربه بشيء من صخورها فيتضرر أو يتكسر تماماً مثل ما قال ابن بطوطة قبل حوالي سبعة قرون .

جزيرة هورا :

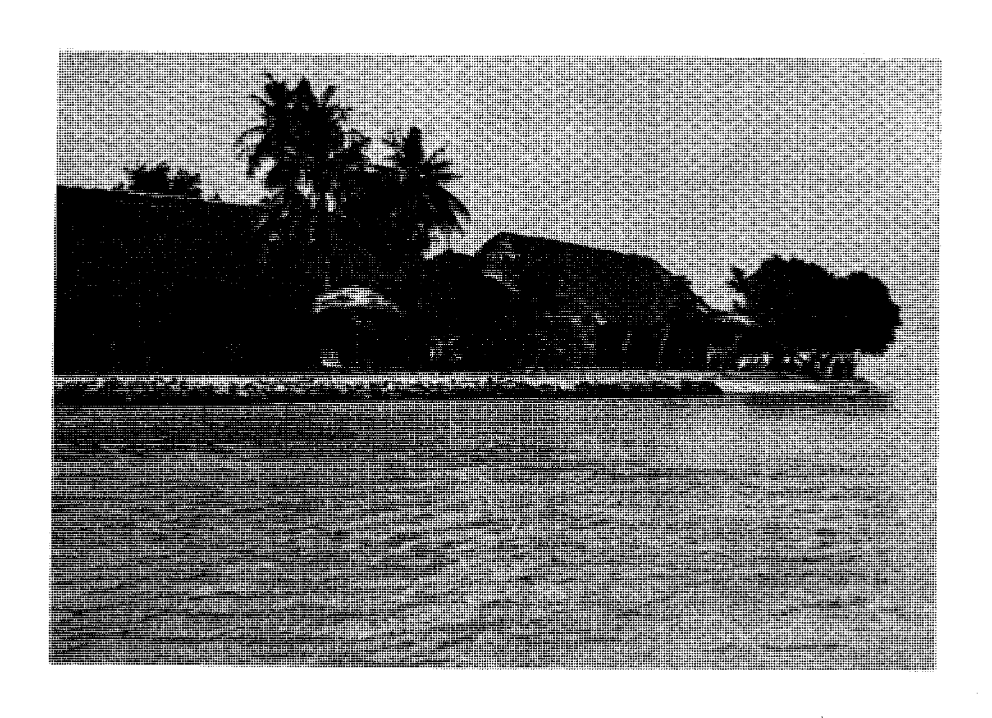
لم يستطع قاربنا البخاري أن يصل الى المرفأ الصغير تماماً لذلك وقف على بعد حوالي عشرين متراً وجاء القوم بقارب صغير يدفعه في الماء أربعة رجال أقوياء يخوضون الماء خوضاً وقد بلغ منهم الى حوالي الوسط وفي الميناء نفسه كان عمق الماء يصل الى ما فوق الركبة . فنزلنا من قاربنا في هذا القارب الصغير الذي لا يسير الاّ بالمجاديف ولكن المسافة هنا قصيرة لذلك أخذ الرجال يدفعونه بأيديهم ثم أخذوا يمسكون به ، ونحن ننزل منه يحفظون توازنه لئلا ينقلب.

ووجدنا منصة الميناء التي هي بوابة صغيرة من الحجارة البحرية تتقدم ممراً مدفوناً الى اليابسة طوله حوالي عشرين متراً وجدنا جماعة من القوم أكرمهم الله وجزاهم خيراً قد خرجوا في الاستقبال منهم الأخ (يوسف آدم) حاكم مجموعة الجزر التي تقع فيها جزيرة (هورا) هذه والأخ حسين كاليفان من وجهاء الجزيرة والأخ عبدالرحيم ابراهيم مؤذن أحد المسجدين فيها وجمعاً من الأهالي . كما وجدناهم قد صفوا صفاً طويلاً من البنيات الصغيرات اللائي ألبسوهن لباساً جميلاً وهن أنفسهن في غاية من الجمال وحسن الهندام وبعدهن صف متصل بصفهن من الأطفال الصغار . والجميع كانوا على غاية من النظافة والذوق .

وعندما وصلنا الأطفال أخذوا بالتصفيق . وقصدنا بعد ذلك غابة من أشجار النارجيل قد تشابكت فوقها فروعها حتى تقي من يكونون تحتها من أن تمسهم أشعة الشمس وقد نصبوا مقاعد من الخشب المستخرج من النارجيل ولما اطمأن بنا المجلس لاحظت أنهم قد جمعوا كومة من ثمار النارجيل ، وبدأ فوراً العمل فيه .

أخذ عاملان معهما سكاكين كبيرة حادة يقطعون رأس الثمرة فتأخذه إحدى البنات الكبيرات من اللائي كن في استقبالنا وأكبرهن لا يزيد سنها على الثانية عشرة والمتوسط عشر سنوات فتقدمه الى احد الحاضرين ، وكنت أتأمل تقاطيعهن فأجدها التقاطيع العربية كما قدمت غير أنني أتخيل أنه لو وجدت عربية في مثل سن إحداهن ولها تقاسيم في وجهها مثل هذه البنيات (المالديفيات) لما توفر لها من الجاذبية في المنظر ما يكون للمالديفيات ، ورحت أبحث عن السر الكامن في هذا وساءلت نفسي أيكون ذلك في هذا التناسق الواضح في الجسم الذي هو ليس امتلاء ولا نحولا ؟ أم يكون في هذه السمرة الندية التي لم تشنها تقاطيع متنافرة .

ومرة رابعة لم أملك إلاَّ أن أذكر ابن بطوطة وأترحم عليه عندما تذكرت ما قال عن نساء أهل هذه الجزيرة . وسألت عن عدد سكان هذه الجزيرة الصغيرة فأجاب الأخ حسين كليفان بحضور الحاكم انهم (٣٤٥) شخصاً ثم استدرك قائلاً بل (٣٤٤) لأنه مات شخص بعد التعداد ولم يولـد بدلاً منه بعد .



جزيرة سياحية في غرب مالي العاصمة

جولة في جزيرة هورا :

كانوا يريدون أن نجلس أكثر ونشرب من النارجيل أكثر في هذا الظل الظليل ولكنهم لا يحسون في أنفسهم من الرغبة في التجول بمثل ما أحس به منها. لذلك نهضت وقلت : إنني أحب أن أتمشى في هذه الجزيرة وأرى معالمها ، ثم سألتهم : أظن أنه لا يوجد عندكم سيارات ؟ قالوا : لا ، مطلقاً . قلت : ولا مواصلات اخرى ؟ قالوا : ولا مواصلات أخرى داخل الجزيرة .

قلت لهم : والماء العذب ؟

قالوا إنه موجود بل متوفر في الجزيرة ، وسوف تراه . ثم قمنا بالجولة ونحن نتحدّث في شؤ ون الجزيرة وكان أول ما رأيناه خيمة كبيرة من الحصير والقش يصنع تحتها قارب محلي يصنعه أهل الجزيرة بأنفسهم غير مستعينين بأحد غيرهم ومعظم مواده محلية ، وسألت عن الحبال التي تسمى عندنا في نجد (الكنبار) وذكرها ابن بطوطة بلفظ (القنبر) وانها تصنع في هذه الجزر ؟ وأن الرجل الغني من أهلها يكون له عدد من النساء لا شغل لهن الاّ عمل (الكنبار) من قشور ثمار النارجيل ؟ فقالوا : إن الصناعة لا تزال موجودة على ما هي عليه في القديم وقالوا : إننا سوف نريك كيف يكون ذلك ؟ فقلت : شكراً وليكن ذلك في نهاية الجولة .

وواصلنا جولتنا في الجزيرة ولا حاجة الى القول : إنها كانت مشياً على الأقدام لأنه لا وسيلة للحركة الاّ ذلك . وكانت تربتها تغري بالمشي فهي رملية بيضاء قد لبَّدها المطر والرطوبة الزائدة حتى غدت أشبه بالفراش الأبيض . ومررنا بسوق مؤلف من أكواخ من القش فيه تحف من المستخرجات من البحر مثل ظهور السلاحف الدهماء المصقولة والملونة وهي في نهاية الرخص اذ البديعة منها سألت عن قيمتها ؟ فقالوا : إنها عشرة دولارات أمريكية ، وكذلك مجموعات من الأصداف والودع والسبح المصنوعة محلياً وهي كلها رخيصة ومغرية ولكن المشكلة في الحمل .

ومررنا ببناء واسع أشاروا اليه وقالوا هذا مخصص للمولد اي الاحتفال بالمولد واذا به من البعد يظهر وكأنه مبني بالحجارة التي أمسكت بالجص فلما اقتربت منه فوجئت بأن اغلبه مبني بحيوانات بحرية متحجرة وهي خشنة في الملمس قوية

يكسرونها كسراً صغيرة ثم يمسكون فيما بينها بالجبس ، لأنه ليس عندهم حجارة خالصة كما هي معروفة لدينا اذ ليس في بلادهم جبال ولا تلال جبلية .

مسجد النساء :

هذا مسجد خاص للنساء لا يصلي فيه إلاَّ هن وليس فيه محراب كما في مساجد الرجال ، وهذا هو الفرق بينه وبين مساجد الرجال كما أنه ليس فيه محلات للوضوء اذ يجب أن تأتي المرأة من بيتها الى المسجد وهي على وضوء ، قالوا : إن لهن امامة أي امرأة تؤمهن في الصلاة .

وبهذه المناسبة أقول : إنّ النساء في هذه الجزيرة لا يتحجبن مطلقاً كما هي عليه الحال في سائر الجزر إلاَّ أن نساء العاصمة اكثر طرواة ونعومة في المنظر من نساء أهل هذه الجزيرة بحكم كون هؤلاء النسوة من أهل الأرياف .

وعدد المساجد في جزيرة (هورا) الصغيرة هذه ثلاثة مسجدان للرجال ومسجد للنساء . واثناء الجولة مررنا بأحد المسجدين وكنت لم أصلّ العصر جمعا مع صلاة الجمعة كما اعتدت في السفر لأن طول لبث الامام في مكانه بعد الصلاة وعدم انصراف الناس إلاَّ بعد انقضاء الصلاة لمدة طويلة لم يترك فرصة لذلك فتوضأت عندما خرجت من الفندق . وقد رأيت الجماعة هنا مقامة لأن الوقت وقت صلاة العصر فانتهزت الفرصة ودخلت معهم .

الامام نصف عارٍ :

وجدت الامام الذي يصلي بالقوم ليس على جسمه الا فوطة تلف أسفل جسمه من تحت السرة الى الساقين وليس على ظهره وبطنه او كتفيه شيء وانما وضع منديلاً صغيراً على رأسه ، ورأيت المصلين أغلبهم كذلك وان كان فيهم من فوق جسمه الأعلى قميص ، ولا ادري أهذا الامام هو الراتب ام أنه جاء لأداء الصلاة فقدمه الحاضرون إماماً عليهم لأنني لم أسأله لضيق الوقت .

وقد كان ميناء الجزيرة في غربها فما أن سرنا فيها حتى وصلنا ساحلها الشرقي

وطلبت أن تقاس المسافة بين الشاطئين فبلغت ٦١٠ امتار ولكن هذا هو العرض أما الطول فإنها طويلة نسبية اذ يبلغ طولها خمسة آلاف متر . . ولذلك لا تعتبر مزدحمة كالعاصمة ففيها قسم تملكه الحكومة قد تركته غابات ظليلة وفيها فراغ كثير بل الفراغ فيها اكثر من المعمور اضعافاً مضاعفة .

والعجيب أن ساكن هذه الجزيرة في العصور القديمة وقبل أن تتعدد حاجات الناس اليومية وتتكاثر في هذا العصر كان يمكنه أن يعيش فيها على ما تنتجه هي دون أن يحتاج الي غيرها اذا اضطر الى ذلك اذ السمك متوفر ورخيص وأنواعه كثيرة كما أن هناك أنواعاً من السرطانات البحرية لو أكلوها لكانت ممتازة ولكنهم لا يحبون أكلها وفيها أشجار النارجيل التي يستعمل ثمرها شراباً وإداماً ومنه يستخرجون الزيت واللبن والعسل وفيها الموز والجوافا والباباي وأنواع من الأشجار التي لم أرها من قبل رغم كوني قد زرت معظم أنحاء العالم ، قالوا : إن بعضها يثمر أصابع كأصابع الفاصولياء يطبخ في المرق كما يطبخ الفاصولياء ويؤ كل الَّا أن داخله مصمت ليس فيه فراغ ، ورأيت فيها نوعاً من أشجار الباذنجان عجيب ذلك بأن الشجرة تبلغ طول قامة الرجل مرتين ورأيت شجرة واحدة فيها ثمرة أرادوا قطعها ليروني إيّاها فصعد أحدهم على سور المنزل الذي هي فيه وقطعها لأنه لم يستطع أن يصل اليها وهو على الأرض ولو رفع يده ، وثمرتها كثمر الباذنجان الموجود عندنا في اللون والرائحة إلَّا أنها أصلب جلداً وأكثر ملاسة ، وأخبروني أن عندهم منه أنواعاً ثمرها أصفر وأنواعاً ثمرها أبيض ورأيت شجرة من أشجار الفلفل ترتفع عن الأرض بمقدار ثلاثة أمتار ولك أن تتصور ذلك وعندهم في هذه الجزيرة أشجار الرمان ورأيته مليئاً بالثمار إلَّا أن ثماره صغيرة ويقولون : إنه ليس من النوع الجيّد . وهذا الى جانب أنواع من الفاكهة الاستوائية كالتي تسمى « القشطة » ولم يقتصر الأمر على الفواكه والخضروات التي ليست في حقول خضراء وانما هي في أشجار مرتفعة ربما كان ذلك لحكمة بالغة هي ضيق المساحة حتى صار للفلفل والباذنجان أشجار كأشجار الليمون والبرتقال أو هي أكثر منها ارتفاعاً .

بل إن عندهم أنواعاً من الورد جيّد الرائحة طيب اللون إلَّا أن ذلك كله على نطاق محدود وفي بعض الأماكن دون بعض مما يدل على أن السكان لا يعيرون هذه

الناحية التفاتاً كبيراً ولو فعلوا ذلك فإنهم سوف يغنون أنفسهم ويصدرون منها الى العاصمة مالي التي ليس فيها فراغ لأيّ زراعة ، فينفعون وينتفعون .

المشي في البستان :

ذكر ابن بطوطة ، وذكراه وذكرى رحلته الى هذه الجزر العجيبة لا تفارق الخاطر ، أن الاشجار متشابكة فيها حتى اذا مشيت فيها في أسواقها كأنما أنت تمشي في بستان ولم أر شيئاً من ذلك في العاصمة مالي فقلت لعل في كلامه شيئاً من المبالغة او ربما كان الأمر قد تغير بسبب قطع الأشجار للحاجة الى المنازل في العاصمة . ولكنني عندما رأيت ركناً من هذه الجزيرة وكانت الساعة تبلغ الرابعة بعد الظهر وكانت الشمس ساطعة حارة في هذه المنطقة الاستوائية ، وفي هذا الفصل الذي هو فصل الصيف فيها ودخلت ركناً من غابة من غابات النارجيل المتقاربة التي مال بعضها على بعض ، واشتبكت فروعها ، وسد ما قد يكون بينها من فراغ قليل أشجار أخرى لم أشعر إلَّا أنني في غرفة مكيفة الهواء فقد حجبت أشعة الشمس تماماً وكأن نسمات البحر تهب بليلة حانية فكأن المرء في مكان مكيف مفتوح يسافر فيه البصر الى غاية مداه .



المشي في البستان في مالديف

وقلت في نفسي ربما كان ابن بطوطة يقصد في وصفه ذلك هذه الجزيرة وأشباهها لا يقصد جزيرة العاصمة مالي . ومما زاد في اعتقادي بذلك أنني مررت ببعض البيوت نفسها التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته وهي بيوت مبنية من الخشب ، بعد أن يوضع صف من الحجارة البحرية على الأرض تعرض عليه الأخشاب ثم يقام البناء من خشب النارجيل وأعوادها ثم يسقف بأعواد النارجيل والحصر المتخذة من سعفه على شكل سنام حتى تتفرق عنه مياه الأمطار الغزيرة .

وبعد هذه الجولة الممتعة بل الفائقة المتعة أخذونا الى بيت الأخ الوجيه حسين كليفان فإذا به قد أعد مائدة من الشاي والمأكولات الخفيفة فجلس على المائدة أربعة عشر شخصاً من الذين كانوا برفقتي ومن أهل الجزيرة ، وكانت حافلة أخذ كل منهم نصيبه منها حتى اكتفى وقد جعل طفلاً معه مروحة من سعف النارجيل فوق رأسي يروح بها مما ذكرني بالعـادة نفسها التي كانت موجودة في بلادنا بأن يقف صبي على رأس الضيف يروح عنه بالمروحة المصنوعة من سعف النخيل ولم يبطل هذه العادة إلاّ وجود المراوح الكهربائية التي لم توجد في الجزيرة ، وإن كانت توجد المصابيح الكهربائية تضيء بعض البيوت في الجزيرة ، قال إن عددها لا يزيد على أربعة عشر بيتاً إلاّ أنه قد أحضر آلة كبيرة لتوليد الكهرباء تكفي بيوت القرية كلها التي لا بد من التذكير بأن عدد سكانها لا يزيد على (٣٤٤) شخصاً غير أن المشكلة هي أن بيوتها متفرقة .

وفي نهاية الحفلة قدم الأخ حسين كليفان هدية تذكارية من مصنوعات هذه الجزيرة الصغيرة هي سبحة من المرجان الأسود موضوعة في علبة من خشب الجزيرة صغيرة منقوشة فقبلتها شاكراً ويذكر أن الكلام كله كان يدور باللغة العربية يترجمها الى اللغة الوطنية بعض الاخوان المرافقين الذين كانوا قد درسوا في البلاد العربية . اذ لا يعرف احد من جزر مالديف اللغة العربية إلاّ نادراً ، وأندر من النادر فهم في هذا الأمر أقل من أهل الهند وأهل سيلان .

وعاد الرفاق الى الاستراحة قبل حلول موعد الأوبة الى جزيرة العاصمة بعد نصف ساعة ولكنني فضلت السير ايضاً لأمتع بصري ونفسي بالمشي على شاطىء الجزيرة الفضي الذي يوشي حاشيتها الخضراء وقلت لهم ربما كان السير لا يروق لكم مثلي ، فيمكنكم أن تنتظروا حتى أعود فوافقوا وذهب معي الأخ حسين كليفان

والشيخ محمد لطفي ، وقصدنا الشاطىء البديع حتى وصلنا الى جزيرة صغيرة ليس فيها سكان من المواطنين وانما فيها فندق سياحي ومنازل لمن يريدون الخلوة والهدوء من السياح الغربيين ممن أضناهم ضجيج المدينة وضوضائها فأرادوا إراحة أعصابهم في هذا الجو البديع يسمونها هنا (جزيرة هورا الصغرى) ويفصلها عن جزيرة (هورا) الكبرى المسكونة فاصل قصير جداً من مياه البحر الضحلة لا يزيد على عشرين متراً يمكن للمرء أن يخوض فيه ويمكنه أن يركب قارباً صغيراً يسير بالمجداف وقال الأخ حسين كليفان : لقد اشتريت هذه الجزيرة الصغيرة من الحكومة وأعتقد أنه يريد أنه استأجرها لمدة طويلة لأنني سمعت قبل ذلك أن الحكومة تعطي الجزر الصغيرة لبعض القادرين على الاستغلال من المواطنين في مقابل مقدار معلوم من الدولارات أو العملات الصعبة حتى يستغلها هؤلاء لأغراض السياحة فيستفيدون ويفيدون .

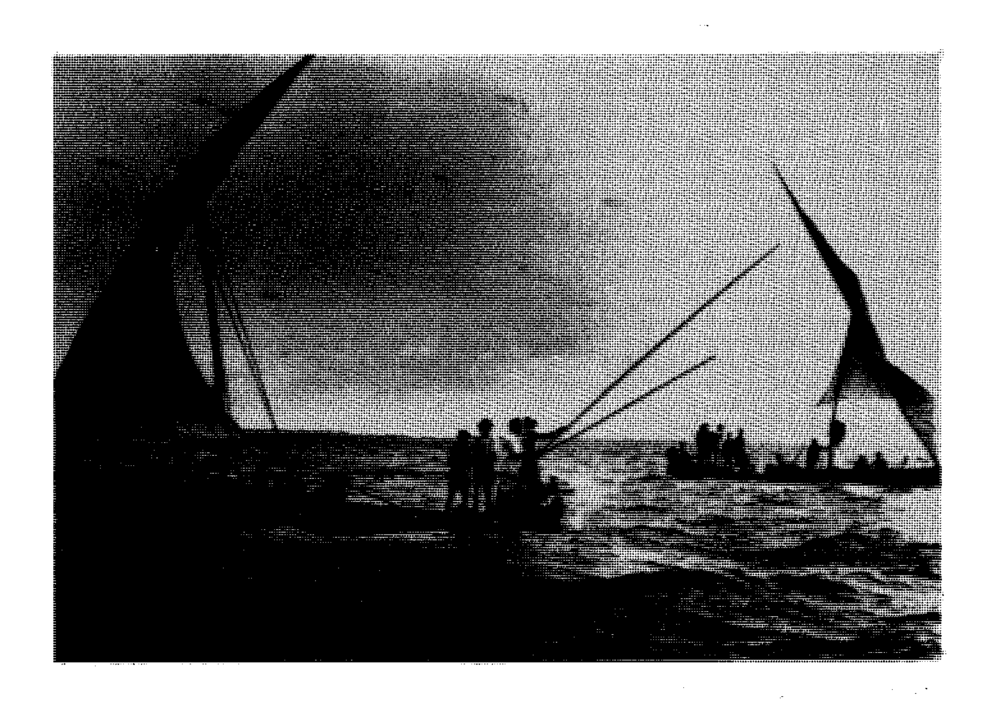
وجلنا في مكان آخر من الجزيرة فأبصرت زوجاً من الأوروبيين مؤلفاً من رجل شاب وفتاة شابة وقد تحـررا من الملابس الزائدة ودخلا في احدى الغرف قال الأخ حسين كليفان : إن بعض الأوروبيين يستأجرون غرفاً في الجزيرة مخصصة لهذا الغرض يجدون فيها الأواني اللازمة للطبخ ويتولون طبخ طعامهم بأنفسهم فيشترونه من القرية قبل الطبخ أو يحضرونه معهم ، ويستقون الماء من الآبار الموجودة في القرية والتي هي عجب من العجب اذ عمقها لا يزيد على متر واحد وربما كانت اقل من المتر ومع ذلك هي من الماء العذب الزلال الذي لا تشوبه ملوحة قط مع أن البحر قريب جداً ، وأرض الجزيرة لا ترتفع كثيراً عن أرض البحر لأنها خالية من الجبال بل إن جميع دولة مالديف ليس فيها جبال .

وبعد هذه الجولة الممتعة عدنا الى مكان الاستراحة الطبيعي الذي هو كراسٍ من خشب النارجيل في ظل غابة من غاباته فوجدناهم قد احضروا امرأتين او قل عاملتين ليفتلا حبال الكنبار ونحن ننظر فكانت الواحدة منهما تفتل الحبل بيديها بوصل جزء منه بالآخر وبسرعة فائقة وبعد قليل كان في يد كل واحدة منهما حبل طويل قوي . وقلت للأخ حسين كليفان : إن هذا جيّد وهو الى جانب كونه مورد رزق لهؤلاء النسوة فإنه مفيد في شغل أوقات الفراغ ولكن ذلك محدود الانتاج شأن العمل اليدوي فلماذا لا تفكرون في ايجاد آلة تقوم بهذا العمل ؟

العودة الى جزيرة العاصمة :

في تمام الساعة الخامسة ودعنا اهل هذه الجزيرة الودود المضيافة بل تكرموا فودعونا الى مياه البحر فنزلنا في قارب صغير يمسك به اربعة رجال لئلا ينقلب ، ثم أخذوا يدفعونه وهم واقفون في الماء حتى ركبنا الى قاربنا النهري الذي أخذ يلتمس طريقه بين الصخور البحرية في هذه المياه الضحلة بمعرفة أحد المواطنين حتى وصل المياه العميقة .

ولم تكن العودة اقل متعة من الذهاب وكان القارب يسير بسرعة ثمانين كيلومتراً في الساعة واستغرقت المسافة مدة نصف ساعة وخمس دقائق . فإذاً تبعد جزيرة (هورا) عن جزيرة العاصمة سبعة وأربعين كيلو (متعة) !!!



قوارب صيد السمك

حفلة وزارة التربية والتعليم :

كانت وزارة التربية والتعليم (المالديفية) قد وزعت بطاقات الدعوة الى حفلة تقيمها جزاها الله خيراً في الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم وكانت من ضمن البرنامج المقرر .

فلما حان الوقت ذهبنا بالموكب الرسمي الذي تصحبه السيارة العسكرية الى مكان يظهر أنه نادٍ ليلي إذ رأيت فيه آلات موسيقية وحلبة للرقص ولكن كل ذلك لا يعمل لأنهم لم يسمحوا لأحد من غير المدعويين أن يدخله .

وإذا به غاص بكبار القوم من الوزراء وكبار الموظفين . ومنهم وزير قدمه اليّ الأخ محمد زاهر حسين وقال : إنه مهم عندنا لأنه وزير الصيد أي صيد السمك ، إشارة الى اهمية السمك في حالة هذه البلاد في القديم والحديث لأنه السلعة الرئيسية التي تصدرها (مالديف) الى الخارج .

وقد ظل القوم فترة واقفين يتبادلون أطراف الحديث الذي كان يدور فيها بينهم باللغة المالديفية ومعي بالعربية من بعض الأشخاص لأنهم قد دعوا كل من يحسن العربية من ذوي الشأن منهم ، ومع الآخرين بالانكليزية اللغة الشائعة في هذه البلاد بين المثقفين .

وقدموا أول الأمر الفاكهة ثم تقدم المدعوون الى المائدة التي صفت عليها الأطعمة التي فيها السمك ولحم الدجاج وكانوا يفضلون الأخير وهو أغلى عندهم من السمك بحوالي ستة أضعاف أما أنا فإنني لم أرد غير السمك ، والطعام الرئيسي في المائدة هو الأرز المطبوخ بالزبيب وبعض الخضروات المقلية بزيت النارجيل .

ثم جلسنا على موائد متفرقة كان الذين جلسوا معي هم الشيخ موسى فتحي وزير العدل والشيخ محمد جميل وهو رجل أديب يحسن العربية لأنه تعلم فترة في مصر ويعرف تاريخ هذه الجزر ويعمل الآن مستشاراً بمكتب رئاسة الجمهورية وكان قد شغل قبل ذلك منصب رئيس القضاة في مالديف لمدة طويلة . وشيخ من باكستان يقريء القرآن في هذه البلاد من مدينة لاهور .

وكانت الجلسة معهم ممتعة إذ سمعت فيها أشياء جديدة مفيدة عن تاريخ هذه البلاد وعن حالتها الحاضرة . وانقضت الحفلة في الساعة العاشرة والنصف وعندما مررنا بسوق البيع والشراء كانت بعض الحوانيت لا تزال مفتوحة وكان المارة لا يزالون يذهبون ويجيئون مما يدل على أنهم أو أن بعضهم على الاقل ليسوا ممن ينامون مبكرين ، رغم ان محطة (التلفاز) تغلق مبكرة اذ تبدأ بث برامجها في الساعة السابعة مساء وتنتهي في التاسعة إلاَّ ربعاً .

يوم السبت : ٩ محرم ١٣٩٨ هـ ١٢/٩/ ١٩٧٨ م

صباح مالديف :

لا أدري لماذا كان نومي قليلاً في هذه الجزيرة إلاَّ أنه على قلته كان كافياً فلم أكن أشعر في النهار بخمول أو نعاس رغم كوني لا أنام في النهار وإنما يدل هذا على أن المرء فيها لا يحتاج الى نوم كثير مثل غيرها ، قد يرجع السبب الى عدم وجود اللحوم والشحوم الحيوانية التي تجلب الخمول لمن يكثر منها . وقد يكون ذلك لرطوبة الهواء وقد يكون للحالة النفسية التي عليها الشخص الذي يحب الاستطلاع ويفضله على نوافل النوم ، على أيّة حال فقد أصبح من العادة أن أصحو مبكراً فيها فأطفىء مكيف الهواء وأفتح النافذة حتى تدخل منها خيوط النور في الفجر تصحبها النسمات العليلة الحانية في هذه البلاد الهادئة التي لا تسمع فيها حساً في تلك الساعة من الفجر لأيّ صوت انسان أو حيوان فضلاً عن الآلة اللهم إلاَّ صياح بعض الديكة البعيدة على قلة في ذلك .

وعندما خرجت من باب دار الضيافة أتمشى في هذا الصباح كان النسيم عليلاً كالعادة ولكن كان الجو غائماً بعض الشيء ورأيت امرأة من الجيران قد خرجت من بيتها ومعها مكنسة من سعف النارجيل تكنس بها الشارع الموازي لبيتها مع أنه مثل شوارع هذه الجزيرة العجيبة نظيف لا يرى المرء فيه أيّ قذر اللهم إلاَّ على حدود البحر اذ يجمعون النفايات هناك للانتفاع بها في ردم الشاطىء .

ورأيت رجلاً تظهر عليه رقة الحال يأتي الى البئر الذي في المسجد فيدلي العصا فيه الذي هو بمثابة الرشاء في بلادنا ويأخذ ماء منه في سطل ويمضي ، فربما كان بيته

ليس فيه بئر مع أن حفر البئر لا يكاد يكلف شيئاً لقرب الماء . والآبار موجودة في أكثر البيوت ومنها بيت مجاور لدار الضيافة كنت أرى كل صباح عصا يرتفع من فوق الحائط وينزل ويكرر ذلك وأرى أحياناً أطراف يد امرأة ترفع ذلك العصا فلم أفطن للمقصود منه حتى عرفت أنها تنزع الماء أو قل تأخذه من البئر الموجودة في بيتها بهذه الطريقة ، وبينما كنت عند باب دار الضيافة استمتع بهذا الجو تساقط المطر سريعاً منعش القطرات فبادرت الى الدخول .

في وزارة الخارجية:

كانت أولى فقرات برنامج هذا اليوم زيارة وزير الخارجية في مكتبه .

وقد سار الموكب ويمكن ألا يسير لأن مقر وزارة الخارجية لم يكن بعيداً اذ لم يكن في هذا القسم الحديث من العاصمة (مالي) شيء بعيد ولكنهم جزاهم الله خيراً يعتبرون الركوب والموكب مظهراً من مظار التكريم .

وصلنا الوزارة وفي هذه لم يكن في الاستقبال سكرتيرة حسناء كما هي العادة دائماً فأدخلنا الى قاعة الاستقبال فيها ولبثت فترة حتى أقبل معالي الوزير الشيخ فتح الله جميل وهو يرحب بعربية فصيحة اذ هو متخرج من كلية اصول الدين في الأزهر . وتبين لي أنه ابن للشيخ محمد جميل الذي أمضيت الليلة البارحة معه جلسة مفيدة على العشاء .

وقد ابتدأ الوزير الحديث ببيان حالة أهل هذه الجزيرة وأنهم مسلمون مائة في المائة وأنهم سوف يعتنون عناية خاصة بما يتعلق بالثقافة الاسلامية وقال : إننا نحتاج مثلاً الى إنشاء جامع كبير في العاصمة يجمع الناس في الصلاة . وقال : إن بعض المساجد في بعض الجزر تحتاج الى ترميم . ثم ذكر أنه سبق أن زار المملكة ولكنها كانت زيارة عاجلة .

فتكلمت معه بالكلام المناسب الذي منه أن اخوانكم في المملكة خاصة وفي أكثر البلدان العربية والاسلامية عامة يحبون التعاون معكم على ما فيه المصلحة الاسلامية العامة وأن المهم هو أن تتصلوا بهم وتكثروا الاتصال حتى تكون ثمرة ذلك المزيد من التعاون على الخير .

وقد استمر الكلام لفترة من الوقت ثم ودعته وانصرفت .

جامع مالي ثانية :

كانت العودة هذا الصباح الى جامع مالي أو مسجد الجامع كما يقولون وذلك ليس للصلاة وانما لاعادة النظر اليه وتأمله .

فوجدت أحد الاشخاص المعينين حاضراً وكان أول ما أطلعنا عليه قبرا في فناء في ركن ساحته الخارجية التي لا يصلى فيها في غير جهة القبلة وهو قبر السلطان ابراهيم اسكندر عليه وشاح من اللوحات العربية دائرة مدار القبر منها :

(توفي سلطان ابراهيم اسكندر ليلة الخامس عشر من ربيع الآخر في السحر ودفن في يومها وهو يوم الجمعة الكريمة سنة ثمان وتسعين بعد الألف) .

ومن هذه اللوحات ما يتضمن الدعاء للسلطان والترحم عليه . وهي مكتوبة كتابة بارزة على حجارة منحوتة مزينة زينة فاخرة قلّ أن يرى المرء مثيلاً لها إلاّ في الآثار التي خلفها ملوك المغول المسلمون في الهند وربما كانت مستوحاة منها او أن الذين صنعوها قد استقدموا من هناك .



شاهد لأحد القبور القديمة في مالديف وعليه الكتاب العربية المحفورة على الحجارة

أما المسجد فإنه آية من آيات الفن المعماري الخاص الذي يجمع بين الهندسة المغولية في جدرانه وبين هندسة شبه الجزيرة العربية الجنوبية ولكنها أرقى منها وأفخر . فجدرانه من الحجارة البحرية المنقوشة كلها مزركشة باشكال بديعة متناسقة ومزينة بنقوش عربية كثيرة وأما سقفه فإنه من الخشب المخروط المنقوش بأشكال هندسية رائعة ، وقد حفر على الخشب الذي يلي السقف آيات قرآنية بخط من الثلث المتقن الجميل دائرة مع دوران المسجد . ومن أروع ما فيه مما لم أر له مثيلاً في غيره أن قباب المسجد وبخاصة القبة الرئيسية فيه هي من الخشب المنقوش المزخرف المبني بتناسق عجيب وبطريقة فنية فريدة وقد صمد للزمن رغم أنه مضى عليه الآن اكثر من ثلثمائة سنة في هذا الجو المطير بل الغزير المطر القريب من خط الاستواء .

وليس خشب السقف مطبقاً على الأعمدة كما قد يتبادر الى الذهن بسبب ما هو معروف في هذا الأمر وإنما جعلوا على كل عمود من الحجارة الدقيقة قطعاً من الخشب المنحوت فنياً بحيث يلائم العمود ولكن بطريقة تزيينية بحيث يتلقى السقف وهو على شكل زهرة رباعية ثم يلي ذلك أخشاب أخرى منحوتة بأشكال هندسية خاصة لأن السقف ليس مسطحاً ولكنه مقبب .

وبعض الأعمدة تكون كلها من الحجارة الملساء المنحوتة وفق مقاييس من الذوق الرفيع حتى يعتمد عليها السقف لكونها في ركن هام من المسجد لا بد له من الأعمدة الحجرية القوية ، وفي مقدمة المسجد الداخلي وعند مدخل الحجرة الخاصة التي يمكن أن تسمى الحجرة الملكية والتي صلينا فيها أمس صلاة الجمعة لوحتان تبينان تاريخ بناء المسجد وتتضمنان الدعاء لبانيه السلطان ابراهيم اسكندر وجاء في احداهما أن السلطان وضع أساس هذا المسجد في عام ١٠٧٦هـ .

ومن غرائب هذا المسجد أنه مقسم الى تسعة أقسام ، وهو في الوقت نفسه مسجد واحد وإنما يفصل بين كل قسم وآخر جدار من الخشب الجميل المدهون بدهان يكون في الغالب أسود وفيه نوافذ كبيرة واسعة بحيث اذا فتحت يكاد المسجد يتصل بعضه ببعض حتى يكون ساحة واحدة ، ربما كان الغرض من وجود بعض هذه الأقسام هو الحاجة الى جدران توضع عليها الأخشاب وربما يقال إن الأخشاب يمكن أن توضع على الأعمدة كما هو موجود في المسجد نفسه .



المتحف الوطني :

كان آخر فقرة في برنامج الزيارة لمالديف هي زيارة المتحف الوطني ولو كنت أعلم أنني سوف أرى فيه ما رأيته لجعلتها الفقرة الأولى . وليس بعد هذه الفقرة إلاّ السفر الذي هو بداية لزيارة قطر آخر وليس نهاية لفقرة من فقرات زيارة هذه البلاد ، وتفقد معالمها .

دخلنا اليه والمطر يهطل فولجت السيارة الى فناء حديقة غناء واسعة منسقة تنسيقاً بديعاً اظهر ما فيها الزهور الصفراء والبرتقالية .

وعجبت من هذه السعة في الحديقة مع ضيق أرض الجزيرة فقالوا : إن هذا كان مقراً لآخر سلطان من سلاطين هذه البلاد فعلمت إذاً أنها جعلت هكذا عندما كان عدد سكان الجزيرة قليلاً وكان ضيق المساحة فيها ليس بهذه المثابة لأن عدد المنازل كان محدوداً وقد أخبرني بعض شيوخهم أنهم كانوا يعهدون مساحات من الجزيرة ليس فيها بيوت ، بل هي فراغ ينتظر من يعمره .

وقال المرافق في هذه الجولة وهو من العاملين في وزارة الخارجية إن ذلك كان في عام ١٩٦٠ كان أول ما رأيناه في مدخلها المخصص للزوار العاديين صندوقاً من الزجاج مليئاً بالماء يمثل الحياة في البحر القريب من هذه الجزر فيه أسماك ملونة حية وأشجار خضراء ثم غرفة صغيرة من السلك الدقيق فيها أنواع من الطيور الملونة الغريبة .

ثم دخلنا الى بناية المتحف نفسه فرأينا فيه تماثيل من الحجارة من العصر البوذي تمثل مناظر ربما كانت لآلهة من آلهتهم أو تحكي قصة من قصص البوذيين ولم أر منها تمثال بوذا نفسه . ثم رأينا الكراسي التي كان يجلس عليها سلاطينهم وكذلك سرير للنوم ومهد لطفل وكلها لا توحي بالبذخ ، ولا تدل عليه ونقشها واعدادها شبيه بما كان موجوداً في الهند في عصر المغوليين الذي فنه مختلط بين الفن الهندي والفن الفارسي والفن العربي الذي وصل الى فارس عن طريق بغداد إلاّ أنهم في الهند كانوا يغالون بزخرفة هذه الكراسي بل يسرفون في ذلك حتى ليجعلون بعضها مكسوا بالذهب أو مرصعاً بالجواهر الثمينة .



آخر ملوك مالديف محمد فريد الأول في مقر رئاسة الوزارة وحوله الوزراء



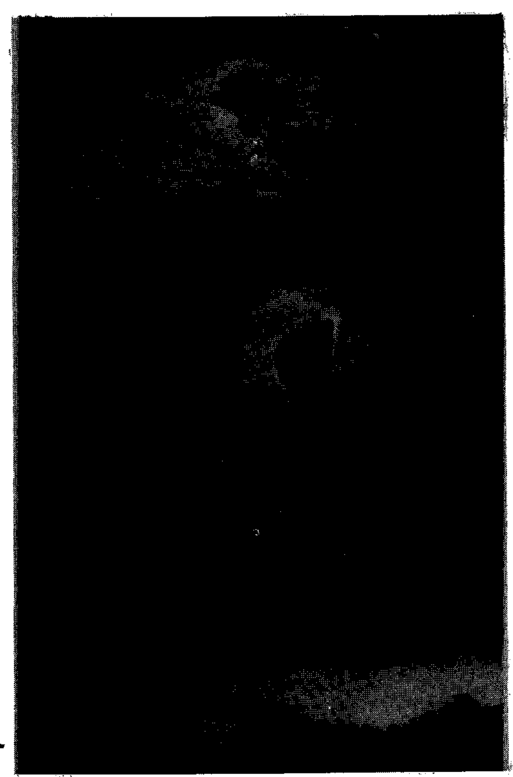
زهريات وعلب للمساحيق كانت مستعملة في مالي





يدفنوا بها بعض الأرض المجاورة لجزيرة المطار حتى يوسعوها لأنهم سبق لهم أن فعلوا شيئاً من ذلك . وهو لعمري يضيف مشقة ومتاعب لهؤلاء القوم الأعزاء تستدعي أن يهب اخوانهم المسلمون في البلاد العربية من الذين منحهم الله الكثير من المال والكثير من المحبة للاسلام والمسلمين . وقامت الطائرة الهندية التي أعلن مكبر الصوت فيها أنه يسر الخطوط المالديفية أن تنقلكم على الطائرة الى كولمبو ولا بد أن ذلك كان بناء على اتفاق بين الدولتين .

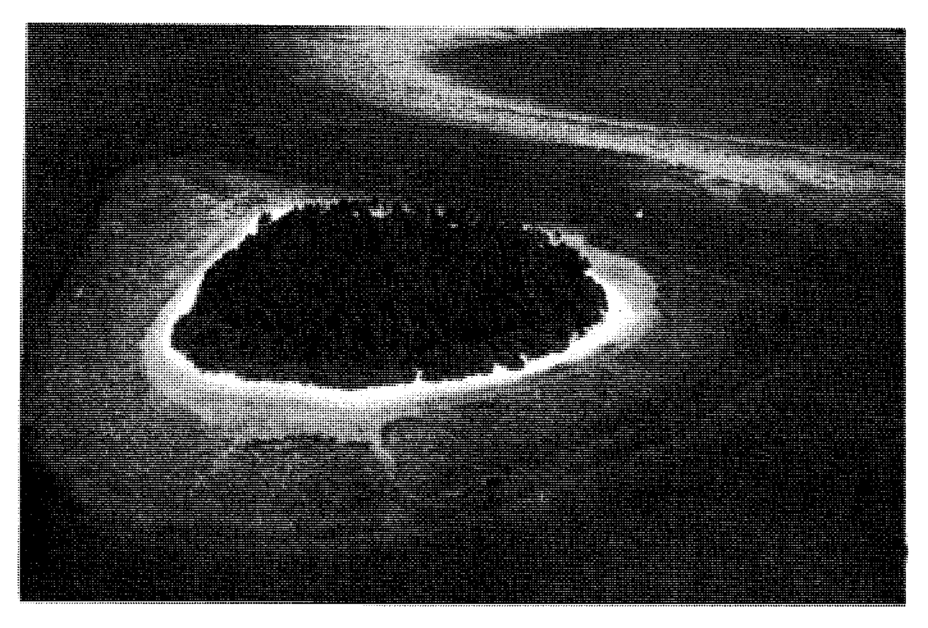
كانت الطائرة ترتفع رويداً رويداً وكنت أتمتع هذه المرة على خلاف ما كان عليه الحال في القدوم برؤ ية هذه المنطقة البديعة فأجد تحتي وعن يميني وشمالي لوحة زرقاء رائعة قد تناثرت فيها بقع خضراء داكنة الخضرة هي بعض جزر (مالديف) تتألف كل جزيرة وما يحيط بها من عدة ألوان رائعة فأرض خضراء داكنة توشحها أرض فضية ناصعة من رمال الشاطىء الضحل تأتي بعدها مياه ضحلة في لون الزمرد ، ثم مياه البحر العميقة الزرقاء الداكنة .



جزر تحت التكوين في مالديف

إنه منظر فاتن قلّ أن يرى المرء له نظيراً في غير هذا المكان . وفي أماكن من هذه اللوحة العجيبة يرى المرء من الطائرة مناظر أيضاً نادرة هي مناظر الجزر التي ربما كانت في طور الولادة أو في طور الوفاة لا يدري الناظر اليها أيّ ذلك هو الصحيح ، ولكنه يرى قطعة من الأرض تكاد تخرج من الماء وتصبح يابسة ولكنها لبست كذلك فالأمواج البيضاء تتكسر على صخورها المغمورة في البحر والمياه الضحلة تغمرها ولكن بمقادير قليلة .

بل يرى المرء أحياناً ما يشبه الخط الطويل او السور العريض اكثره مغموراً بالمياه الضحلة ، وفيه نقط صغيرة بارزة قد ازدهرت فيها أشجار النارجيل .



جزيرة بادوس الصغيرة تقع شمالاً من العاصمة مالي بحوالي ١٢ كيلا

وتلجج الطائرة في المحيط الهندي ذي المياه السوداء الداكنة مبتعدة عن جزائر (مالديف) ومناظرها العجيبة ولكن العواطف التي غمرنا بها أهلها لا تبعد عن القلب ابداً . وتدخل الطائرة في محيط مظلم آخر من السحب المتراكمة المطبقة فيعلن مكبر الصوت أنّ على الركاب أن يشدوا أحزمة المقاعد وتمضي الطائرة في سعيها في أحضان السحاب الى أحضان الليل ذلك السعي الذي سيستغرق ساعة وخمس دقائق قبل أن يصل الى مدينة (كولمبو) عاصمة سيلان .





العملة انما دفعهم الى كتابتها محبتهم للعرب ورغبتهم في المعنى العربي الاسلامي لهذه العبارة لا لمعرفتهم بشعاب مالديف التي تعني أن صحة التسمية (محلديب) .

ذلك بأن أصل التسمية هي (مال ديب) وذلك معناه في اللغة السنهالية التي يتكلم بها أكثر السكان في سيلان المجاورة وكان يتكلم بها أو بأكثرها السكان المالديفيون القدماء (جزيرة السمك) لأن معنى مال في تلك اللغة هو (سمك) ومعنى (ديب) هو جزيرة تماماً مثل معنى (ديب) في اسم جزيرة سيلان قديماً (سرن ديب) أي : جزيرة الياقوت .

وقد سميت بهذا الاسم بسبب كثرة السمك في هذه الجزر التي تتغذى بما يكمن في الصخور المرجانية المحيطة بها من كائنات بحرية .

أما ابن بطوطة فقد سماها (ذيبة المهل) اذ قدم المضاف على المضاف اليه إما لكونها كانت تسمى كذلك في زمنه عند الناطقين باللغة الفارسية التي كانت معروفة للبحارة والعاملين في البحر الذين كانوا يترددون على هذه الجزر يسافرون ما بينها وبين ساحل عمان والبصرة من البلاد العربية وما بينها وبين سواحل الهند الجنوبية وسواحل سيلان أو لأن ابن بطوطة حاول تعريب الاسم بهذه التسمية .

وقد حمل عمل ابن بطوطة هذا بعض المتأخرين الذين يأخذون الأمور بسهولة على الزعم بأن الاسم عربي الأصل بل ذهب بهم الوهم الى أن يجعلوه اسماً عربياً بلفظ (محل الذئبة) حرّفه الجهال بزعمهم . ومعنى ذلك بعبارة أسهل (بلاد الذئب) .

وغاب عن بالهم أن تلك البلاد لا يوجد فيها ذئاب ولا غير الذئاب من الحيوانات البرية المفترسة ولم يكن فيها شيء من الذئاب في القديم فيما عرف من تاريخها وفيما يعرف من طبيعة بلادها التي هي جزر ضيقة المساحة محدودة الرقعة ليس فيها مواش سائبة او حيوانات برية تتغذى عليها الذئاب وليس فيها مجاهل أو أماكن نائية تستطيع الذئاب أن تختبيء بها وتعيش فيها .

إذاً ما دام الأمر كذلك وما دام انه قد فاتنا شرف أن يكون هذا الاسم مشتقاً من لغتنا فلنركن الى الاسم العالمي لها (مالديف) .

طبيعة البلاد :

هي بلاد ذات جزر متفرقة وهي جزر رملية مرجانية ذات تربة بيضاء إلَّا أن البلاد مطيرة بحيث يستمر موسم هطول الأمطار لمدة ثمانية أشهر وحتى في باقي الأشهر قد ينزل المطر ولذلك لا تشكو البلاد من شح في الأمطار ولا تشكو من عدم وجود أنهار فيها اذ لا يوجد فيها أنهار أصلاً. لأن الأمطار كافية بحاجاتها مع أن الأرض ضيقة ومعظم الحاصلات الزراعية من حاصلات الغابات مثل ثمار النارجيل وبعض الفواكه كالليمون والموز ولكن الأهالي لا يعتنون بالزراعة العناية الكافية لأنهم لم يكونوا يستطيعون الاعتماد عليها في القديم بسبب ضيق الأرض مع أنه يمكنهم في المستقبل اذا توفرت الخبرة والمال الكافي والرغبة في التحسين والتطوير أن يزيدوا رقعة الأرض اليابسة بما يجففونه من الأراضي ذات المياه البحرية الضحلة المحيطة بأكثر الجزر وبامكانهم أن يدخلوا تحسينات على المزروعات بحيث يختارون منها ما يرتفع الى أعلى وما يكون أقل من غيره حاجة الى المساحة المنبسطة من الأرض .

كما أن الأخشاب من الممكن أن تصبح جزءاً من الثروة لأن البلاد مطيرة كما قدمت . أما الجو فيها فإنه يشبه الأجواء الاستوائية بل هو استوائي حقاً بأمطاره واعتداله في أكثر أوقات السنة فهو متشابه طول العام وهو ليس شديد الحرارة لأن كثرة الأمطار تلطف الجو هذا رغم كون موقعها في الشمال من خط الاستواء قليلاً إلَّا أنه لا يخرج عن الدائرة الاستوائية .

وكل الجزر مكسوة بالغابات التي أظهرها أشجار النارجيل كما توجد أشجار أخرى غيرها إلَّا ما قطعوه من هذه الأشجار للانتفاع بمكانه من الأرض كما فعلوا في جزيرة العاصمة . وليس في الجزر جبال بحيث أن الشخص منهم الذي لم يغادرها الى الخارج لا يتصور الجبال على حقيقتها وينصت الى من يحدثه عنها كما ينصت أهل البلاد الجبلية الى من يحدثهم عن جبال القمر .

ورغم كون الجزر خالية من الانهار فإنها غنية بالآبار العذبة الماء بشكل يعجب له من يراه اذ يجد الماء العذب الزلال على مسافة متر من سطح الأرض في جزر صغيرة لا





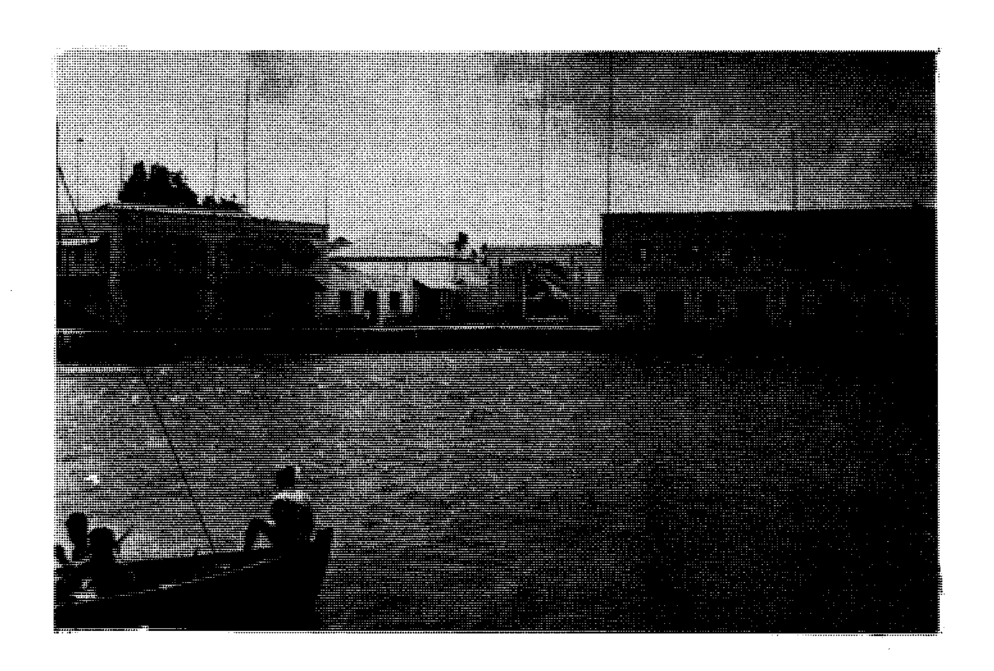
وكان لذلك أثره الطيب اذ استجابت حكومة مالديف المسلمة وطردت سفير العدو اليهودي من بلادها بل قطعت العلاقات السياسية وكل العلاقات مع العدو اليهودي .

ولكن لم يترتب على ذلك أن سارعت الدول العربية والاسلامية الى تبادل التمثيل السياسي معها وايجاد العلاقات المتينة كما كان منتظراً .

وحتى الآن لا يوجد أيّ سفارة عربية لأيّ دولة عربية في مالديف ما عدا السفارة الليبية . كما لا توجد سفارة لأيّة دولة اسلامية غير سفارة باكستان .

وفيما عدا ذلك توجد سفارة للهند وهذا كل ما فيها من سفارات ، واذا حدث أن احتاجت إحدى الدول الأجنبية الى اجراء اتصالات سياسية مع مالديف فإنها توعز الى سفيرها في كولومبو عاصمة سيلان باجراء ذلك مع الحكومة المالديفية فيحضر السفير بعد أن يخبر الحكومة المالديفية بذلك مقدماً حتى تستقبله .

وبعد الاستقلال نص الدستور على أن البلاد ملكية ولكن الملك ينتخب انتخاباً إلاّ أنه جرى التصويت بعد ذلك على أن يكون النظام جمهورياً وأن يكون رئيس الوزراء مسؤولاً أمام مجلس النواب الذي يتألف من (٤٨) عضواً وكان رئيس الجمهورية هو ابراهيم ناصر الى أن تم بالفعل انتخاب رئيس جديد للجمهورية وباشر اعماله قبل وصولي الى مالديف بثلاثة وعشرين يوماً وهو الشيخ مأمون عبد القيوم .



بوابة السفر التي كان يخرج منها الملك إلى خارج العاصمة وإلى اليسار مبنى الجمرك القديم وإلى اليمين مبنى المدرسة الابراهيمية (تشغله مصالح حكومية)

العلم الوطني والشعار الوطني

العلم الوطني :

علم جمهورية مالديف يتكون من الألوان الأحمر والأخضر والأبيض وهو مستطيل الشكل به مستطيل أخضر في وسط دائرة حمراء وفي الوسط هلال أبيض .

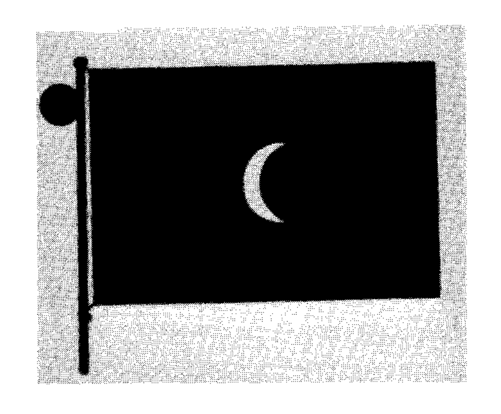
فاللون الأحمر يدل على دماء الأبطال الذين استشهدوا في سبيل الاستقلال واللون الأخضر يدل على الحياة والتقدم والازدهار . واللون الأبيض للهلالي يدل على السلام والأمن وعقيدة الدولة السلامية .

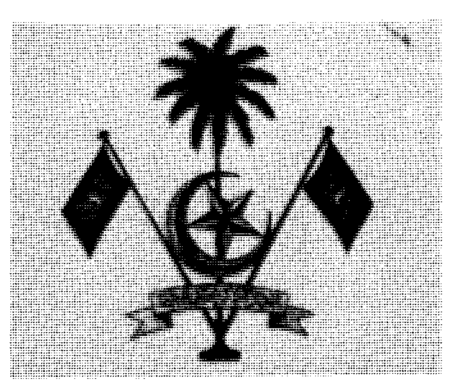
الشعار الوطني :

هو عبارة عن شجرة جوز الهند وهلال ونجمة بالاضافة الى علمين وطنيين واسم الدولة . شجرة جوز الهند ترمز الى حياة الدولة لأن هذه الشجرة تعود بفوائد جمة على جميع الوطنيين سواء في البر أو البحر ولا يوجد بها أيّ جزء لا يستفاد منه . والهلال والنجمة يرمزان الى سلطة الدولة وعقيدتها الاسلامية والاسمان اللذان يتكون منهما

اسم « الدولة » و « المحلديبية » أطلقهما السلطان الغازي محمد تاكوروفان العزام (١٥٧٣ ـ ٨٥) وكان من أعظم أبطال الدولة . الدولة المحلديبية تعني دولة المالديف .

ويلاحظ المرء قرب الشبه بين شعار (مالديف) وشعار الدولة السعودية وبخاصة ما يتعلق بشجرة النارجيل وبالنخلة شجرة التمر كما أن رسم الشجرتين في الشعارين متقارب .





شعار مالديف والعلم الوطني

الاسلام في مالديف :

شعب مالديف مسلم كله أو مائة في المائة كما يقال ولا يوجد أحد من أهل البلاد غير مسلم بل إن كلمة مالديفي تعني عندهم كلمة مسلم وهم بهذا من البلدان القلائل التي لا يوجد فيها أحد من المواطنين من غير المسلمين مثلهم في ذلك مثل المملكة العربية السعودية والصومال وموريتانيا . والمظاهر الاسلامية في هذه البلاد موجودة أينما توجه المرء بل إنها قد تكون موجودة أظهر من غيرها . فعلى سبيل المثال جزيرة العاصمة (مالي) عدد سكانها (٣٢) الفاً وفيها (٣٩) مسجداً تقام صلاة الجمعة في ثلاثة مساجد منها وكلها تمتلىء بالمصلين يوم الجمعة حتى إن بعض المصلين يصلون في الشمس لذلك يحضرون معهم شمسيات (مظلات) تقيهم حرارتها . وجزيرة هورا التي زرتها عدد سكانها (٣٤٤) نسمة وفيها ثلاثة مساجد اثنان منها للرجال ومسجد واحد للنساء . وهذا أمر قد يستغربه بعض الناس ولكن قالوا لنا : إنه توجد أيضاً مساجد خاصة للنساء في غير جزيرة هورا .

والجزر التي لا يوجد فيها مساجد خاصة للنساء تحضر النساء الى اداء الصلاة خلف الرجال في الصلوات الخمس وقد شاهدت ذلك بنفسي في جزيرة العاصمة كما تقدم .

ويحضر الرجل المالديفي الى المسجد ومعه أولاده اذ يشاهد المرء قسماً من المصلين الصبيان الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال .

وإذا رآهم المرء مع صبيانهم في المسجد ورأى خشوعهم واحترامهم للمكان فإنه لا بد أن يتأثر بذلك ويعرف أنهم يصلون بدافع ديني بحت اذ لا يوجد من يحملهم على الصلاة حملاً ومن عادتهم أن لا يخرجوا من المسجد بعد أداء الفريضة الاّ بعد أن يصلوا السنة ركعتين فيه في الأوقات التي يجوز فيها أداء السنة بعد الصلاة .

ومن مظاهر تمسكهم بالدين الاسلامي أن دستورهم يمنع غير المسلمين من الحصول على الاقامة الدائمة في البلاد أو من الحصول على الجنسية المالديفية كما أخبرونا بذلك . وتوجد المساجد في كل الجزيرة المسكونة بل إنها قد توجد في بعض الجزر التي يرتادها صيادو السمك ولو لم يكن فيها العدد الكافي من السكان

المستقرين . ويقولون : إنّ الرجال منهم لا يخرجون الى الصيد يوم الجمعة حذراً من أن تفوتهم صلاة الجمعة مع أن الصيد مورد رزقهم الوحيد .

ومع ذلك فإن أغلب المتدينين منهم يشكون من مسلك حكومتهم السابقة التي كان رئيسها ابراهيم ناصر قد تعلم في سيلان وتثقف ثقافة غير اسلامية جعلته يستقدم أعداداً من المعلمين البوذيين من سيلان ، وجعلته يلغي التعليم الديني الخاص .

ويقولون : إن هذا من أسباب سقوطه في الانتخابات وقد انتخبوا بدلاً منه الرئيس الحالي الشيخ مأمون عبد القيوم الذي هو متخرج من الأزهر ، ويأملون في أن يعيد للثقافة الاسلامية العريقة في هذه البلاد قوتها وانطلاقها .

ويذكر أنه عندما عدم التعليم الديني الاسلامي في الجزيرة في السنوات الأخيرة اتجه عدد كبير من شبانها الى المدارس الاسلامية في الهند وباكستان وسيلان باعداد كبيرة للتعويض عن ذلك حتى اصبح عددهم يقدر بالمئات .

دخول الاسلام الى مالديف :

متى دخل الاسلام الى مالديف ؟ وكيف دخل ؟

هذان سؤالان تسهل الاجابة على الأول منهما ، وتعترض بعض الصعوبة الجواب عن الثاني .

اذ عرفنا من نقش باللغة العربية محفوظ في المتحف الوطني أن دخول الاسلام اليها بمعنى اعتناق أهلها الدين الاسلامي كان في عام ٥٤٨ هـ بل حدد الشهر الذي أسلم فيه ملك مالديف وتبعه أهل دولته وهو شهر ربيع الثاني من العام المذكور وذلك النقش الذي لا يزال واضحاً كل الوضوح مؤرخ في شهر ذي الحجة عام ٧٣٨ هـ اي بعد دخول أهل مالديف في الاسلام بمائة وتسعين سنة وهي مدة قصيرة نسبياً مما يوثق ما جاء في النقش المذكور إن كان الأمر يحتاج الى توثيق .

هذا هو الجواب على السؤال الأول .

أما الجواب عن السؤال الثاني وهو : كيف أسلم أهل مالديف ؟ فإنه ليس واضحاً اذ النقش السابق يقول : إن أبا البركات البربري كان هو سبب هداية ملك هذه البلاد وأهلها الى الاسلام وهذا أمر مجمع عليه ممن تكلموا في هذا الأمر ممن بلغنا كلامهم ولكن السؤال المهم : هو كيف استجاب الملك ومن تبعه من قومه لأبي البركات البربري ؟

إن النقش الهام الذي سميته (الوثيقة الخشبية) لم يذكر إلّا أن أبا البركات دعا ملك البلاد وأخاه وقومه الى الاسلام فأسلموا جميعاً . ولكن ابن بطوطة يذكر أن السبب في ذلك هو كون أهل الجزيرة سلموا من عفريت قال : إنه كان يأتيهم من البحر على هيئة مركب فيه نيران كما سبق وأن البركات البربري عجز عنه العفريت المذكور كبر في أعين الملك وفي أعين أهل بلاده فأسلم وأسلموا جميعاً . وذلك في قصة سيأتي نصها فيما ننقله من كلام ابن بطوطة رحمه الله . وأيّا كان الأمر فإن أهل مالديف اسرعوا الى الدخول في الاسلام بعد أن كانوا يعتنقون البوذية ويعبدون الأصنام . حتى كانوا عندما زارهم ابن بطوطة بعد اسلامهم بقرابة قرنين من الزمان على غاية من الصلاح والديانة وإن كان قد ذكر أن عندهم شيئاً لا يمكن اقراره وهو كون اكثر نسائهم لا يسترن النصف الاعلى من أجسامهن وإن ذلك الشيء كان مألوفاً راسخاً في النفوس حتى إنه لم يستطع وهو القاضي الذي بيده شيء من الأمر أو قل السلطة باصطلاح هذا العصر أن يغيره في هذه الجزر . وكل ما استطاعه هو أن يمنع دخول من يحضرن مجلس حكمه من النساء الّا بعد أن يسترن أجسامهن .

وذكروا أن الملك عندما أسلم بنى مسجداً هو الذي يسمى الآن مسجد الجمعة وسبق ذكره وذلك باشارة من الشيخ أبي البركات البربري رحمه الله ولعل المنارة فيه تدل على تأثير مغربي في طراز بنائها كان من آثار رأي للشيخ ابي البركات رحمه الله وإن كان الترميم الحالي لها قد تم قبل ثلثمائة سنة فقط فلعل اصلها كان كذلك وهي بخلاف بقية بناء المسجد الذي لا اثر لطراز البناء المغربي فيه حسبما نفهمه .

وتتلخص قصة العفريت حسبما ذكره ابن بطوطة في أن أهالي مالديف كان يأتي اليهم عفريت على هيئة مركب في البحر فيه نيران عديدة ، وانهم يدفعون ضرره بأن يزفوا اليه في الليل بنتاً بكراً يضعونها في معبد لهم بشاطىء البحر يسمونه (بدخانه)

فيجدون البنت اذا أصبحوا ميتة وقد افتُرِعَتْ وأن أبا البركات البربري كان نازلاً عند امرأة من أهل الجزيرة فوجد أنها في يوم من الأيام هي وأهل بيتها في حزن عظيم فأخبرته أن ابنتها سوف تقدم للعفريت وأن معنى ذلك هو هلاكها فطلب منها أن يحل محل ابنتها وكان وجهه خالياً من الشعر فألبسته لباس ابنتها وجعلوه في المعبد كالعادة ولم يكن يعرف بأمره أحد غيرها فبقي يصلي ويذكر الله ويقرأ القرآن الليل كله حتى انصرف العفريت ولم يضره فلما حضر الملك وقومه في الصباح وجوده كذلك سالماً فدعاهم الى الاسلام فأسلموا وانقطع عنهم العفريت وسلموا من شره بسببه .

وعندما وصلت الى « محدليب » سألت طائفة من أهل العلم والبحث عن قصة العفريت هذه فقالوا كلهم : إنها خرافة . فسألتهم الا تعتقدون أن لها أصلاً حقيقياً يمكن أن يقره العقل ولكن الناس أدخلوا عليه من الزيادات ما ألحقه بالخرافة ؟

فقالوا : لا .

أما أنا فإنني أعتقد أنه ربما كان للقصة أصل صحيح ولكن على غير هذا الوجه مثل : انه كان يأتيهم إعصار من البحر في الأزمان الموغلة في القدم فيلحق بهم الضرر لقلة عددهم ولضيق سطح جزيرتهم فيحملهم الخوف والهلع على تقديم قربان له من أحسن ما عندهم وبخاصة أنفس ما يريده الرجال من الجنس الآخر وهو الفتاة العذراء مثل ما كان يفعل المصريون عندما دخل عمرو بن العاص بعد الفتح الاسلامي فوجد أن أهلها يرمون في النيل فتاة مزينة يرون أن النيل لا يجري إلاَّ اذا رميت فيه الفتاة فأبطلها عمرو بن العاص بعد أن صدر إليه الأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر النيل يجري دون أن تقدم إليه ضحية بريئة .

على أن هناك احتمالاً آخر وهو أن يكون بعض المجرمين قد استغلوا حالة نفسية خاصة ربما كانت سائدة في تلك الجزيرة في فترة من الفترات فأخذوا يأتون بالفعل في قارب لهم فيه نار. وربما ضربوا الدفوف او احدثواجلبة ويكتفون بما يقدم اليهم من فدية ثم يقتلون ضحيتهم بعد أن يقضوا منها ومن أخذ الفدية ما يريدون لئلا تخبر بحقيقة حالهم فظن الناس أن الذي يأتيهم على تلك الهيئة إنما هو عفريت من العفاريت التي لا يمكنهم صدها وساعد نقص وسائل الاطلاع ، وعدم رسوخ عقيدة التوحيد في نفوسهم ـ قبل إسلامهم ـ على إثبات ذلك حتى اصبح أمراً مسلماً به .

أرض مبعثرة وشعب موحد :

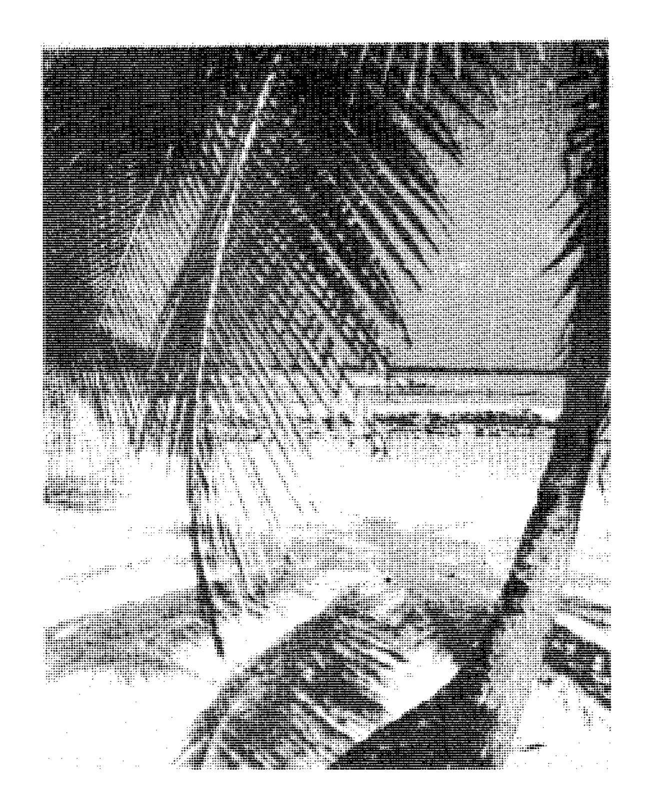
ربما لا يصح هذا الوصف على بلد أكثر مما يصح في (مالديف) ذلك بأنها تتألف من جزر كثيرة لم يكن أهل البلاد يعرفون عددها بل حتى حكامهم لم يكونوا يعرفون عددها بالضبط لكثرتها ولصغر بعضها صغراً يجعله لا أهمية له بالاضافة الى بعض الجزر التي لم تتم ولادتها بعد وإن كان البحر عنها في المخاض اذ لم يبق فوقها من مائه الاَّ قليل من المياه الضحلة .

وقد اختلف قديماً في عددها فذكر ابن بطوطة أن عددها يبلغ حوالي الفين وذكر بعض المتأخرين أنها اكثر من الفي جزيرة . ولكن حكومة مالديف أجرت أخيراً حصراً للجزر فبلغ عددها الفاً وسبعاً وثمانين جزيرة منها (٢١٥) جزيرة مسكونة والأخرى غير مسكونة اما لصغرها واما لكونها نائية .

وتتألف الجزر من مجموعات متعددة بعضها على شكل حلقة وبعضها على شكل عنقود في مجموعات تبلغ (١٣) وتمتد من الشمال الى الجنوب أو على الأصح تمتد المساحة التي تشغلها في البحر لأنها أشبه بالمعسكر في البرية الذي يبلغ طوله حوالي ٦١٠ كيلات وعرضه في المتوسط (١١٠) كيلات . ويسمون المجموعة من الجزر الصغيرة (أتول) وهو اسم انتقل منهم الى غيرهم فأصبح مصطلحاً في بعض المراجع للمجموعات الصغيرة من الجزر حتى في أماكن أخرى من العالم .

وتعاني الحكومة مشكلة صعبة في إيجاد المواصلات الحديثة بينها وتحتاج في هذا الأمر الى اسطول حديث من الزوارق الصغيرة وأسطول من الطائرات الصغيرة التي تقلع من الماء كما عليه الحال في جزر البحر الكاريبي لأن مساحات الجزر لا تسمح بايجاد مطارات فيها كلها او في اكثرها لضيقها .

ولكن السكان موحدون ـ بفتح الحاء ـ بشكل عجيب تجمعهم عقيدة واحدة هي العقيدة الاسلامية ومذهب واحد هو مذهب الشافعي ولغة واحدة هي اللغة المالديفية وعنصر موحد لا يلاحظ المرء الغريب فيه فروقاً . هذا الى نمط معيشة واحد .



صورة رقم (٣٧)

السكان :

يعيش في هذه المساحة الواسعة من مياه البحر على ظهر هذه الجزر الصغيرة المتفرقة مائة الف وثلاثة وأربعون الفاً من السكان تستوعب العاصمة منهم (٣٢) الفاً .

والسكان يبدون للرائي من جنس مختلف عن الهنود وعن السيلانيين في التقاطيع وإن كانوا لا يبعدون عن السيلانيين وعن الهنود الجنوبيين في اللون .

وإذا رآهم المرء ذكر السودانيين والصوماليين الشماليين أو لنقل إنه يذكر العرب الجنوبيين وبخاصة من الحضرميين لولا أن الوانهم سمر أكثر من الحضرميين بل أن سمرتهم قاتمة الى حد يكاد يقرب من السواد في بعض السكان .

وتضيق العاصمة بسكانها اذ مساحتها أربعة كيلات مربعة فقط مع أنها تؤ وي ربع سكان الدولة ولكنها حتى الآن لا تشكو ضيقاً شديداً اذ لا يزال اكثر البيوت من

طابق واحد ، ولا يزال أكثرها ذا احواش واسعة يمكن أن تـؤ وي سكاناً أكثر بل إن أهالي العاصمة يفخرون بأن عندهم بناء واحداً من ثلاثة طوابق وهو البناء الوحيد في الدولة كلها الذي يتألف من طوابق ثلاثة ، اما الأبنية المؤلفة من طابقين فإنها متعددة في العاصمة وهذا يفتح الباب أمام ايجاد مساكن اكثر للعدد المتزايد من سكان العاصمة .

على أنه من حسن الحظ أن المياه التي تحف بالجزيرة من بعض الجهات هي مياه ضحلة ويمكن تجفيفها بجهد غير شاق وهم بالفعل يعملون في ذلك وقد قطعوا شوطاً لا بأس به حتى قال لي فخامة رئيس الجمهورية إنه يظن أن جزيرة العاصمة قد توسعت أرضها أكثر مما تركها ابن بطوطة بالثلث اي انهم جففوا من مياه الشاطىء ما يعادل ربع الأرض التي تشغلها العاصمة في الوقت الحاضر وهذا الضيق الذي يتخوفون منه في جزيرة العاصمة يقابله سعة في بعض الجزر الأخرى التي يقل عدد السكان فيها حتى أنها تستطيع أن تستوعب اكثر منهم اضعافاً مضاعفة بدون الحاجة الى تجفيف شيء من الأرض المحيطة بها .



ملعب رياضي واسع في العاصمة رغم صغر مساحتها

الاقتصاد المالديفي :

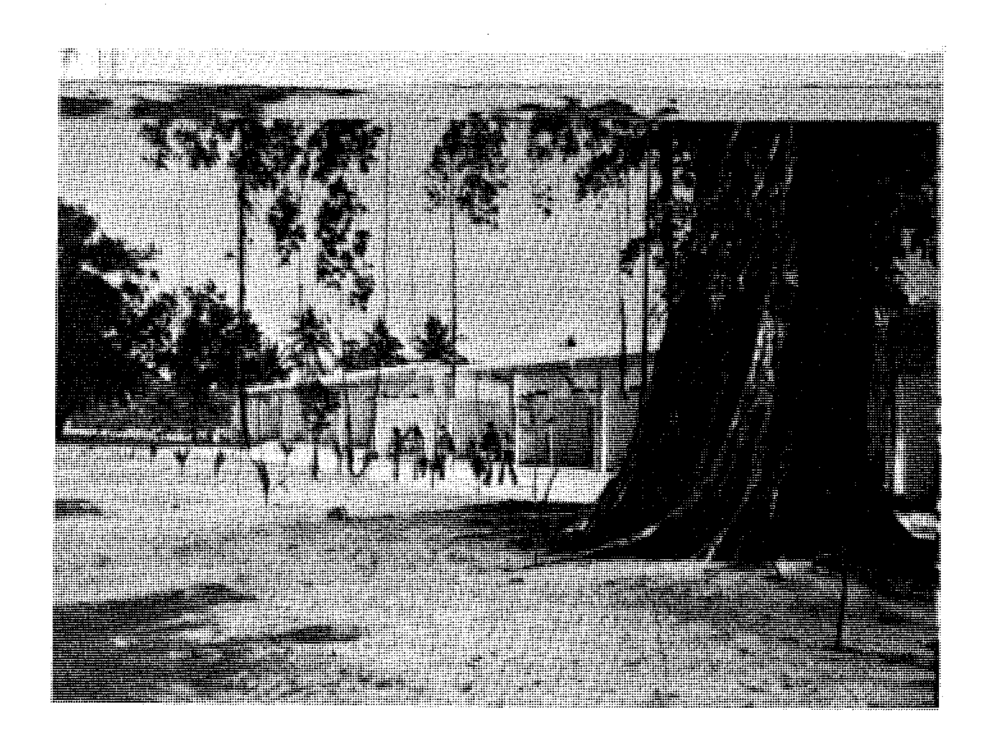
ربما احتاج الحديث عن الاقتصاد الى مختصين فيه ولكن هناك بعض البلدان التي يكون أمر الاقتصاد فيها ظاهراً واضحاً لا يحتاج الى تحليل أو تعليل ومن تلك البلدان جزر (مالديف) ذلك بأنها معروفة أنها تستورد ما يحتاجه الشعب من الغذاء الرئيسي الذي هو الأرز اذ اعتاد الأهالي على تناوله منذ القديم وكانوا يقايضون اهل الهند وسيلان الأرز بالسمك المقدد الذي يفضله أهالي تلك البلدان فيشترون بثمن السمك ما يحتاجونه من الأرز . وقد استمر الأمر على هذه الحال الى العصر الحديث غير أن حكومة سيلان في السنوات الأخيرة تمنعت عن شراء السمك المالديفي المقدد بحجة أنها تعاني نقصاً في العملة الأجنبية التي تحتاجها في مشروعات أخرى ولبضائع أخرى أهم من سمك مالديف فبقيت سوق السمك الهندية وهي أضيق من السيلانية . فماذا يفعل المالديفيون ؟

يقول ابن بطوطة إنهم كانوا ايضاً يبيعون (الكنبار) وهو حبال تصنع من قشور ثمار النارجيل اليابسة بعد نقعها في الماء ثم دقها وكانت هذه الحبال ترسل من هذه البلاد الى بلاد الهند بل حتى الى الصين واليمن لأنهم كانوا يربطون بها القوارب حتى اذا صدمتها الحجارة في البحر لانت قليلاً بخلاف ما اذا كانت القوارب قد شدت بالمسامير فإنها تنكسر .

الّا أنَّ صناعة الحبال المذكورة هي يدوية شاقة وقد تطورت صناعة القوارب حتى جاوزت الحاجة الى احبال مالديف فماذا يصنع المالديفيون ؟

لقد صنعوا شيئاً كان هو الدواء العاجل لحالتهم الاقتصادية الحاضرة : لقد جعلوا الاقتصاد حراً ولم يضعوا قيوداً على إدخال العملة الأجنبية أو إخراجها وجعلوا البلاد أشبه ما تكون بمنطقة حرة للبضائع الأجنبية فأصبح السيلانيون والهنود الجنوبيون يأتون الى مالديف لكي يقضوا إجازتهم ويشتروا من بضائعها الرخيصة المستوردة ما يقل سعره كثيراً عن أسعار بلادهم ومن ذلك الملابس فكانوا يتعمدون شراء الملابس التي لا تصل الى حد المتاجرة بها فكان المالديفيون بعددهم المحدود ينتفعون من ذلك عملة أجنبية وكسباً تجارياً عاجلاً .

وشيئاً مهماً آخر لم يغفلوه ذلك هو السياحة فقد سهلوا امور السياحة بعد أن اتفقوا مع شركات سياحية معينة وبنوا الفنادق وأماكن الاقامة للسياح في جزر خاصة بهم منعزلة عن بقية السكان إلاَّ فيما ندر .



جانب من جزيرة سياحية تقع غرب العاصمة

وقد وجد السواح في طقس مالديف وفي طبيعة أهلها وفي جمال جزرها ما يغريهم بقصدها والاقامة فيها بضعة أيام ثم كانوا يمضون وهم يتحدثون بما لمسوه وشاهدوه فيكون ذلك حافزاً لقوم آخرين أكثر منهم ، وتجني حكومة مالديف من ذلك نقداً أجنبياً تشتري به ما يحتاجه أهل البلاد من أشياء ضرورية كالأرز والشاي والقهوة والحليب وأشياء كمالية كأجهزة المذياع والتلفاز .

ولذلك يلاحظ المرء أن مظاهر الفقر المدقع الموجودة في أنحاء من الهند وعلى وجوه بعض الناس فيها في كل أنحائها وكذلك في أنحاء من سيلان غير موجودة هنا

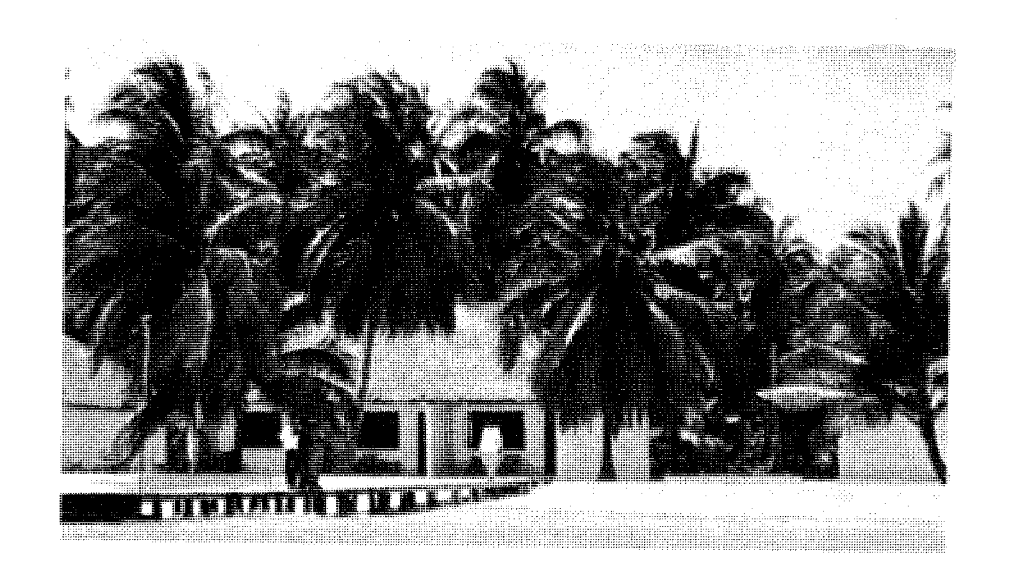
بل الجميع يبدون وكأنهم يتمتعون بقسط وافر من التغذية الكافية والثياب النظيفة الجيدة .

هذا الى جانب كون المصروفات التي ترهق بعض الدول مثل بناء الجيوش غير موجودة في هذه البلاد اذ لا يوجد فيها جيش بالمعنى المفهوم وإنما فيها قوات أمن قال بعضهم إن عددها زهاء ألف وخمسمائة رجل .

أما المحصول الرئيسي في هذه البلاد وهو السمك فإنه لا تزال له أهميته بالنسبة الى غذاء الشعب اذ اللحم شحيح جداً ولا يكاد يوجد إلَّا في بعض الأحيان مستورداً مبرداً أو مقدداً غير أنه يوجد مقدار من الدجاج اقل من حاجة البلاد وهو الى ذلك جداً بالنسبة الى السمك اذ يبلغ سعره أكثر من سعر السمك ستة أضعاف او سبعة . إلَّا أن حكومة مالديف قد اتفقت مع احدى الشركات اليابانية على استثمار ثروتها السمكية الوفيرة في منطقة معينة من شواطئها فأقامت مصنعاً لهذا الغرض في احدى الجزر الشمالية واخذت تصدر ما تصطاده الى اليابان .

ولا تزال لأشجار النارجيل أهمية بالغة في اقتصاد هذه البلاد بل وفي سائر شؤ ون حياتها إلَّا أنها اقل مما كانت عليه في الازمان القديمة بطبيعة الحال اذ ازدادت حاجات الانسان وتطورت أساليب معيشته .

ومع ذلك فإن هناك مستقبلاً طيباً لاقتصاد مالديف اذا ما أحسن استغلال الفرصة المتاحة لديها من توسع في استقبال السّواح وتوسع في رقعة الأرض بما يجفف من البحر وبخاصة أنّ البلاد غزيرة المطر لذلك تغسل الأمطار الهاطلة الأرض المدفونة بسرعة حتى تزيل عنها الأملاح في وقت قصير وتصبح بذلك صالحة في الزراعة . وربما تصبح فيها امكانية الزراعة الحقلية التي تحتاج الى ارض كافية اذ هي غير موجودة في الوقت الحاضر كما يفهمها الناس في البلاد التي لا تعاني نقصاً في مساحة الأرض .



جزيرة كورمبا أي: جزيرة النارجيل وهي سياحية إلى الشمال الشرقي من العاصمة مالي

اللغة :

يتكلم المالديفيون لغة خاصة بهم تسمى المالديفية وهي لغة يستعملها سكان الجزر كلهم على امتدادها وتفرقها فهي بذلك من أدوات التوحيد لهم . إلاّ أن هذه اللغة لا يتكلمها أحد غيرهم في خارج الجزر فهي اذاً لغة محصورة واذا عرفنا أن عدد الشعب كله لا يزيد على مائة وخمسين الفاً وأن هناك نسبة كبيرة من الأميين أدركنا صعوبة إيجاد قارئين بها للكتاب العادي لذلك لا نجدها قد ألف فيها من الكتب الاّ قليلاً ، وإنما معظم المكتوب فيها إنما هو من الدوائر الرسمية الحكومية ولذلك أيضاً يعتمد المثقفون والمتعلمون في البلاد على لغة أخرى هي لغة الثقافة التي تعلموها وهي هنا الانكليزية بالدرجة الأولى تليها العربية ثم لغة سيلان التي هي السنهالية والناصلية في السنوات الأخيرة بل قبل سنتين أنجزت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة المالديفية وتم طبع الجزء الأول منها .

ويلاحظ المرء عدم انتشار الكتابة باللغة المحلية حتى بعض اللافتات في العاصمة اذ بعضها مكتوب بالانكليزية فقط مما يدل على عدم الاعتماد على اللغة الوطنية اعتماداً كبيراً في الكتابة على حين ان استعمالها في المحادثة هو الشائع .

واللغة المالديفية عمودها الفقري في الأصل مأخوذ من اللغة السنسكريتية التي هي اللغة الهندية القديمة ومعها شيء من اللغة السنهالية لغة الاكثرية في سيلان التي تربطها منذ القدم بها روابط متينة ولا تزال بسبب قربها منها اذ لا تبعد مالديف عن ساحل سيلان الغربي بأكثر من ٦٥٠ كيلا .

وعندما دخل أهل هذه الجزر في الاسلام وأصبحوا ذوي ثقافة اسلامية متميزة دخلت الفاظ جمة من اللغة العربية الى المالديفية كان أولها الألفاظ والاصطلاحات الدينية ثم تبعتها الفاظ أخرى من ألفاظ الحضارة العربية . حتى اصبح في اللغة المالديفية من الألفاظ العربية ما تفوق نسبته ما في أيّ لغة اخرى قريبة من مالديف مثل التاملية لغة الأقلية في سيلان والأكثرية في (ولاية تامل نادو) التي عاصمتها مدينة مدراس في الهند ومثل السنهالية ، ومثل لغة (مالايالم) التي هي لغة أهالي ماليبار في جنوب الهند رغم كون العلاقات التجارية متينة جداً بين البلاد العربية وبين بلاد المليبار إلاّ أن الأغلبية في تلك البلاد الهندية ظلت هندوكية الديانة وإن أصبح من أهلها عدد من المسلمين تصل نسبتهم في الوقت الحاضر الى حوالي ٣٥ بالمائة في ولاية كيرالا اي (مليبار) .وهذا الحكم لا يشمل الاوردوية التي يتكلم بها اهل شمال الهند ووسطه فهي اكثر اخذاً من العربية وتأثراً بها الى درجة أنه يقال : إن العمود الفقري فيها هو من العربية وما فيها من الفارسية واللغة الهندية القديمة ثم الانكليزية انما هو الاطراف وليس العمود الفقري .

بل إن اللغة المالديفية التي كانت تكتب قبل دخول الاسلام الى هذه الجزر بالحروف التي تشبه السنسكريتية غيرت من مسار الكتابة فيها فبعد أن كانت تكتب من اليسار الى اليمين صارت تكتب من اليمين الى اليسار كالعربية وأصبح أهلها يكتبونها بحروف عربية .

غير أنها على مر الزمن اكتسبت حروفاً للكتابة غير الحروف العربية وانما هي مستوحاة اكثرها من كتابة الأرقام العربية فمثلاً الباء تكتب على شكل رقم (٢) تقريباً والتاء على شكل (٣) الى آخر الحروف التسعة الأولى وعدد حروفها (٢٨) كالعربية .

وتبلغ الكلمات العربية في اللغة المالديفية نسبة عالية حتى اخبرني الشيخ محمد جميل وهو حجة في معرفة اللغتين العربية والمالديفية وكان يشغل وظيفة رئيس القضاة

في مالديف لمدة طويلة أن نسبة الكلمات العربية في اللغة المالديفية تفوق نسبتها من أيّة لغة حية وقال أنها تبلغ ٤٠٪ .

[illegible]

ރަސްމީ ބަންދު ދުވަސްތައް

محرّم ވަނަ 1 ވަނަ ދުވަސް	هجرى [illegible] ދުވަސް
ربيع الأوّل ވަނަ 1 "	قومى ދުވަސް
" 12 "	[illegible] رسول [illegible] عيد ميلاد [illegible] مناسبة [illegible]
شوّال ވަނަ 1 "	فطر عيد ދުވަސް
ذى الحجة ވަނަ 10 "	أضحى عيد ދުވަސް
ޖުލައި ވަނަ 26 "	[illegible] ދުވަސް
ނޮވެމްބަރު ވަނަ 11 "	جمهورى ދުވަސް

[illegible] ބަންދު ދުވަސްތައް

ربيع الأوّل ވަނަ 2 ވަނަ ދުވަސް	قومى [illegible] مناسبة [illegible]
رمضان ވަނަ 1 "	رمضان [illegible] مناسبة [illegible]
شوّال ވަނަ 2 ވަނަ [illegible] 3 ވަނަ ދުވަސް	فطر عيد [illegible] مناسبة [illegible]
ذى الحجّة ވަނަ 9 ވަނަ ދުވަސް	حجّ ދުވަސް
" 11 ވަނަ [illegible] 12 ވަނަ ދުވަސް	أضحى عيد [illegible] مناسبة [illegible]
ޖަނަވަރީ ވަނަ 1 ވަނަ ދުވަސް	ميلادى [illegible] ދުވަސް
ޖުލައި ވަނަ 27 "	[illegible] مناسبة [illegible]
ނޮވެމްބަރު ވަނަ 12 "	جمهورى [illegible] مناسبة [illegible]
[illegible] مجلس [illegible] ދުވަސް	([illegible] اعلان [illegible] مجلس [illegible] إدارة [illegible])

[illegible] ދުވަސް

أنموذج من كتابة اللغة المالديفية ونلاحظ الكلمات والحروف العربية بينها

ومع ذلك فإن عدد المتكلمين بالعربية في جزر مالديف قليل جداً وكانوا أكثر من ذلك في الماضي لأن التعليم الاسلامي فيها أصبح قليلاً في السنوات الأخيرة واللغة الانكليزية التي هي لغة المستعمرين السابقين أو على الأدق لغة الحامين المسيطرين قد اصبحت لغة الثقافة العالمية وهي المفهومة في البلاد القريبة من مالديف والبلاد التي تتعامل معها في التجارة مثل سيلان وجنوب الهند وسنغافورة .

على أنه يوجد من يعرفون شيئاً من العربية تعلموها في المدارس الاسلامية في الهند او باكستان او سيلان .

وهذه طائفة من الكلمات العربية الموجودة في اللغة المالديفية واكثرها من الفاظ الحضارة ومن الألفاظ الدينية وهي على كثرتها مثال لا حصر .

الله .	تقوى .	فاسق .	امتحان .
رسول .	هداية .	عهد .	قوم .
رحمة .	غيب .	أصل .	حادثة .
خاص .	ايمان .	خليفة .	قتل .
حمد .	قائم .	تسبيح .	شكر .
عالم .	آخرة .	جواب .	عفو .
	يقين .	سؤال .	بدل .
شامل .	كافر .	خبر .	ميثاق .
قيامة .	إنذار .	حكمة .	فضل .
جنّة .	تقديس .	وحي .	خلاف.
نعمة .	عذاب .	سجد .	قدرة .
آمين .	مكر .	عداوة .	يقين .
دعاء .	نفس .	حال .	غافل.
سورة .	فساد .	قرار .	اسلام .
صحّ .	اصلاح .	توبة .	حجة .
آية .	شيطان .	قبول .	لازم .
خلافة .	ابليس .	تبع .	عدد .

نظر (يستعمل بمعنى الرأي) .
كلمة .
حذف .
اله .
مراد .
رمز .
اسم .
معجزات .
حاكم .
جهنّم .
ميقات .
فتح .
نصيحة .
حسد .
حج .
الهام .
دولة .
محدّث .
حرام .
وصية .
حكم .
مناسب .
حوالـة .
معاملة .
واجب .
امام .
بالغ .
استقلال .

حق .
باطل .
رجوع .
رزق .
شريك .
عمل .
طاهر .
تأييد
قدر .
حدّ .
قبلة .
مشرك .
تعريف .
مشورة .
فتنة .
عمرة .
رئيس.
أمان .
وطن .
فرض .
خراب .
ترحيب.
مشهور.
تكبير .
سجود .
مكلف .

اهل .
زكاة.
ركوع .
صلاة .
ركعة .
شفاعة .
سلامة .
مسلم .
لعنة .
حياة .
احترام .
بشارة .
وكيل .
وعد .
زمان .
قصاص .
اذن .
محكمة .
تاريخ .
هجر .
سنة .
وجه .
تواضع .
فتح .
مصلحة .
إرشاد .
إعتدال .

يتيم .
مسكين .
فقير .
مظلوم .
ظلام.
احسان .
جزى .
محشر .
مؤمن .
قميص .
منع .
رزق .
شهيد .
بيان .
جاهل .
مفسّر .
حلال .
اخ .
ثواب .
ذكر .
تفصيل .
نصر .
انصاف .
علم .
فجر .

نفاس . حرية . تكليف . طواف .
قصد . بيان . اسراف . خيار .
هدي . حلم . استثنا . شهيد .
وصية . عقوبات . احتلام . ثابت .
شاهد . دين . احرام . درجة .
مظلوم . نبي . ملائكة . نصر .
عدّة . انتظام . اخلاق . دفاع .
جماع . عدل . خالق . باطل .
قانون . أساس .
ولي . فائت . هديّة . كاتب .
مستشار . دور . جنّة . ميدان .
جهاد . نهى . أمر . وعظ .
صدّيق . دليل . صالح . فائدة .

مالديف وابن بطوطة

ابن بطوطة ومالديف

الرحالة المشهور محمد بن بطوطة هو أكثر من لفت الانتباه الى جزر (مالديف) في العصور الوسيطة بل ربما كان هو الكاتب الوحيد الذي ذكرها بتفصيل مدهش في ذلك الوقت الذي كان يتسم الكلام فيه على مثل هذه الموضوعات بالاجمال والتركيز على موضوعات معينة حتى اننا لو اسقطنا من حسابنا ما ذكره ابن بطوطة عن تاريخ مالديف لوجدنا أننا نعيش من تاريخها في ظلام حالك .

لقد تكلم ابن بطوطة عن نواح عديدة في هذه البلاد عن دخول الاسلام اليها وعن نظام النقد عندهم وعن القضاء والملاحة والزواج والمرأة ونظام الحكم الى آخر ما ذكره مما لو عددناه وعلقنا عليه لطال الكلام دون أن يكون لذلك ضرورة ، وقد فضلنا أن ندعه بين يديك على طوله واثقين انك لن تمل مطالعته لطرافته او ربما لجدة المعلومات التي فيه عليك .

قال ابن بطوطة :

وعدت الى قالقوط[1] وعزمت على السفر الى ذيبة المهل ، وكنت أسمع

---

(١) قالقوط : مدينة في ولاية كيرالا في جنوب الهند على الساحل الغربي تكلمت عنها في كتابي : « في بلاد الهند والسند » . وتسمى الآن (كاليكوت) .

بأخبارها ، فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقالقوط وصلنا جزائر ذيبة المهل(١) وذيبة على لفظ مؤنث الذيب ، وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا ، وهي نحو ألفي جزيرة ، ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة ، لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الاّ منه ، واذا وصل المركب الى احداها ، فلا بد له من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر ، وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل(٢) التي باحداها عند الخروج من الأخرى ، فإن أخطأ المركب سمتها لم يمكنه دخولها ، وحملته الريح الى المعبر(٣) أو سيلان .

وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح ، وهي منقسمة الى اقاليم على كل اقليم وال يسمونه الكردوبي ، ومن أقاليمها اقليم بالبـور ، ومنها كنلوس(٤) ، ومنها اقليم المهل(٥) ، وبه تعرف الجزائر كلها ، وبها يسكن سلاطينها ، ومنها اقليم تلاديب ، ومنها اقليم كرايدو(٦) ، ومنها اقليم التيم(٧) ومنها اقليم تلدمتى(٨) ، ومنها اقليم هلدمتي ، ومنها اقليم بريدو ، ومنها اقليم كند كل(٩) ، ومنها اقليم ملوك(١٠) ، ومنها اقليم السويد وهو أقصاها .

وهذه الجزائر كلها لا زرع بها إلاّ أن في اقليم السويد(١١) منها زرعاً يشبه انلي ، ويجلب منه الى المهل ، وإنّما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس(١٢) ،

---

(١) هي المجموعة التي فيها جزيرة العاصمة.
(٢) يريد بالنخل أشجار النارجيل لأنه ليس فيها من نخيل التمر شيء .
(٣) المعبر في جنوب الهند يرى بعضهم أنها في ولاية (كرناتكا) .
(٤) يسمى الآن (كانولس) .
(٥) اقليم المهل يريد به مجموع الجزر التي عاصمتها (مالي) العاصمة .
(٦) ربما كان هو (كايدو) في الشمال .
(٧) يسمى الآن (جوتيم) في شمال الجزر .
(٨) لم يتغير اسمه وهو اقصى الجزر من جهة الشمال .
(٩) هو كندي كول في جهة الجنوب من العاصمة .
(١٠) جزيرة كبيرة في اقصى الجنوب تسمى الآن (ملك) .
(١١) اسمه الآن (أدو) في اقصى جنوب مالديف ولعل اصل كتابة ابن بطوطة (الويد) فحرف من النساخ .
(١٢) هو سمك التونة الذي يسميه المالديفيون الآن (كالوبالامس) وتحريفها (قلب الماس) .

ولحمه أحمر ، ولا زفر له ، انّما ريحه كريح لحم الأنعام ، واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه اربع قطع ، وطبخوه يسيراً ، ثم جعلوه في مكاتيل من سعف النخل ، وعلقوه للدخان ، فإذا استحكم يبسه أكلوه ، ويحمل منها الى الهند والصين واليمن ، ويُسمّونه قلب الماس[1].

ذكر أشجارها

ومعظم أشجار هذه الجزائر النارجيل ، وهو من أقواتهم مع السمك ، وقد تقدم ذكره وأشجار النارجيل شأنها عجيب ، وتثمر النخل منها اثني عشر عذقاً في السنة ، يخرج في كلّ شهر عذق ، فيكون بعضها صغيراً وبعضها كبيراً وبعضها يابساً وبعضها أخضر ، هكذا ابداً ، ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل ، حسبما ذكرنا ذلك في السفر الأول ، ويصنعون من عسله الحلواء ، فيأكلونها مع الجوز اليابس منه .

وللسمك الذي يغتذون به قوة عجيبة في الباءة لا نظير لها . ولأهل هذه الجزائر عجب في ذلك ، ولقد كان لي بها اربع نسوة وجوار سواهن ، فكنت أطوف على جميعهنّ كلّ يوم ، وأبيت عند من تكون ليلتها ، وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك[2].

ومن أشجارها الجمون والأترجّ والليّمون والقلقاص ، وهم يصنعون من أصوله دقيقاً يعملون منه شبه الاطرية ، ويطبخونها بحليب النارجيل ، وهي من أطيب الطعام . كنتُ أستحسنُها كثيراً وآكلُها .

---

(١) لا يزالون يفعلون به هذا ويصدر في الوقت الحاضر الى سيلان والهند واليابان .

(٢) لا يزال المالديفيون يعتقدون هذا الاعتقاد في هذا السمك .

ذكر اهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم

وأهلُ هذه الجزائر أهلُ صلاح وديانة وإيمان صحيح ونيّة صادقة . أكلُهم حلال ودعاؤ هم مجاب . وإذا رأى الإنسانُ أحدَهم قال له : الله ربي ومحمّد نبيّي ، وأنا أميّ مسكين . وأبدانُهم ضعيفة ولا عهدَ لهم بالقتال والمحاربة ، وسلاحُهم الدعاء . ولقد أمرتُ مرّةً بقطع يد سارق بها فغشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس . ولا تطرقُهم لصوص الهند ولا تذعرهم لأنّهم جرّبوا أن من أخذَ لهم شيئاً أصابتهُ مصيبةٌ عاجلة . وإذا أتت أجفانُ العدو[1] إلى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم ، ولم يتعرّضوا لأحد منهم بسوء ، وإن أخذ أحد الكفّار ولو ليمونةً عاقبه أميرُ الكفّار وضرَبه الضرب المبرّح خوفاً من عاقبة ذلك ، ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم .

وفي كلّ جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة ، وأكثرُ عمارتهم بالخشب . وهم أهلُ نظافة وتنزّه عن الأقذار ، وأكثرُهم يغتسلون مرّتين في اليوم تنظفاً لشدّة الحرّ بها وكثرة العرق ، ويكثرون من الأدهان العطريّة كالصندليّة وغيرها ، ويتلطّخون بالغالية[2] المجلوبة من مَقْدَشو[3] .

ومن عادتهم أنّهم إذا صلّوا الصبح أتت كلّ امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وماء الورد ودهن الغالية ، فيكحلُ عينيه ويدّهن بماء الورد ودهن الغالية فتَصقُلُ بَشَرَتَه وتُزيلُ الشحوب عن وجهه .

ولباسُهم فُوَط يشدّون الفُوطة منها على أوساطهم عوَضَ السراويل . ويجعلون على ظهورهم ثياب الوِلْيان ، وهي شُبه الأحاريم[4] . وبعضهم يجعلُ عمامةً ، وبعضُهم منديلاً صغيراً عوضاً منها ، وإذا لقيَ احدهم القاضي أو الخطيب وضَعَ ثوبه عن كتفيه ، وكشَفَ ظهرَه ومضى معه كذلك حتى يصلَ إلى منزله .

---

(١) أي : سفن العدو .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٣) مقدشو هي مقديشو عاصمة جمهورية الصومال في الوقت الحاضر .

(٤) الأحاريم : جمع محرمة وهي كلمة مأخوذة من اسم لباس الاحرام للحج او العمرة لأنه يكون على هيئة اردية أو أزر غير مخيطة .

ومن عوائدهم أنّه إذا تزوّجَ الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثيابَ القُطن من باب دارها إلى باب البيت ، وجعل عليها غَرفات من الوَدع[1] عن يمين طريقه الى البيت وشماله، وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره ، فإذا وَصَل إليها رمت على رجليه ثوباً يأخذه خدّامُه ، وإن كانت المرأة هي التي تأتي إلى منزل الرجل بُسِطت دارُه ، وجُعلَ فيها الودعُ ، ورمت المرأة عند الوصُول إليه الثوبَ على رجليه . وكذلك عادتُهم في السلام على السلطان عندهم لا بدّ من ثوب يرمى عند ذلك وسنذكره[2] .

وبنيانُهم بالخشب ، ويجعلون سطوحَ البيوت مرتفعة عن الأرض توقياً من الرطوبـات لأن أرضَهم نديّةٌ ، وكيفيّة ذلك أن ينحتوا حجارةً يكونُ طولُ الحجر منها ذراعينِ أو ثلاثة ، ويجعلونها صفوفاً ، ويعرضون عليها خشب النارجيلِ ، ثمّ يصنعونَ الحيطان من الخشب ، ولهم صناعة عجيبة في ذلك ، ويبنون في أسطوان الدار بيتاً يسمّونه المالَم[3] يجلسُ الرجل فيه مع أصحابه ، ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الأسطوان يدخلُ منه الناس ، والآخر إلى جهة الدار يدخل منه صاحبُها . ويكون عند هذا البيت خابيةٌ مملوءةٌ ماء ، ولها مُستقى يسمّونه الوَلَنْج[4] وهو من قشر جوز النارجيل ، وله نصابُ طولُه ذراعان ، وبه يسقون الماء من الآبار لقربها[5] .

وجميعُهم حفاةُ الأقدام من رفيع ووضيع[6] ، وأزقّتُهم مكنوسةٌ نقيّةٌ تظلّلها الأشجار ، فالماشي بها كأنّه في بستان ، ومع ذلك لا بدّ لكلّ داخل إلى الدار أن يغسلَ رجليهِ بالماء الذي في الخابية بالمالَم ، ويمسحهما بحصير غليظ من اللّيف يكون هنالك ثمّ يدخل بيته[1] . وكذلك يفعلُ كلّ داخل إلى المسجد .

---

(١) الغرفات ، الواحدة غرفة : ما يغرف باليد . الودع : مناقيف صغار تخرج من البحر ، في جوفها دابة ، الواحدة ودعة . وقد أخذ بعضهم يسميها الآن (القواقع البحرية) .

(٢) ظلت هذه العادة في الزواج موجودة الى ما قبل قرن من الزمان .

(٣) يسمى الآن (ماليم) بمعنى غرفة الجلوس .

(٤) يقولون له في الوقت الحاضر (أدولي) .

(٥) رأيتهم يفعلون ذلك كما سبق ذكره في اليوميات .

(٦) هذه عادة كانت موجودة الى عهد قريب .

(١) لا تزال هذه العادة موجودة في بعض الجزر .

ومن عوائدهم إذا قدمَ عليهم مركَبٌ أن تخرجَ إليه الكنادر ، وهي القواربُ الصغار ، واحدها كُنْدُرة ، وفيها أهلُ الجزيرة معهم التنبول والكرنبة[1] ، وهي جوز النارجيل الأخضر ، فيُعطي الإنسانُ منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ، ويكونُ نزيله ، ويحملُ أمتعته إلى داره كأنّه بعضُ أقربائه . ومن أراد التزوّج من القادمينَ عليهم تزوّج ، فإذا حانَ سفرُه طلّق المرأة لأنّهن لا يخرجنَ عن بلادهن ، ومن لم يتزوّج فالمرأة التي ينزلُ بدارها تطبخُ له وتخدمُه وتزوّده إذا سافرَ وترضى منه في مقابلة ذلك بأيسر شيء من الإحسان .

وفائدةُ المخزن ، ويسمّونه البندر[2] ، أن يشتري من كلّ سلعة بالمركب حظّاً بسَوم معلوم سواء كانت السلعة تساوي ذلك أو أكثر منه ، ويسمّونه شرعَ البندر . ويكونُ للبندر بيتٌ في كلّ جزيرة من الخشب يسمّونه البَجَنْصار يجمعُ به الوالي ، وهو الكردوري[3] ، جميعَ سلعه ويبيعُ بها ويشتري ، وهم يشترون الفخّار إذا جُلبَ إليهم بالدّجاج ، فتباعُ عندهم القِدْرُ بخمس دجاجات وستّ ، وتحملُ المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه وجوز النارجيل والفُوَط والوليان والعمائم ، وهي من القطن ، ويحملون منها أواني النحاس ، فإنّها عندهم كثيرة ، ويحملون الوَدَع ، ويحملون القَنْبَر[4] وهو ليف جوز النارجيل ، وهم يدبغونه[5] في حُفَر على الساحل ، ثمّ يضربونه بالمرازب ثمّ يغزلُه النساء ، وتُصنعُ منه الحبال لخياطة المراكب ، وتحمل إلى الصين والهند واليمن ، وهو خيرٌ من القنّب ، وبهذه الحبال تُخاطُ مراكبُ الهند واليمن لأن ذلك البحر كثير الحجارة، فإن كان المركبُ مسمَّراً بمسامير الحديد صَدَمَ الحجارة فانكسر ، وإذا كان مخيطاً بالحبال أُعطي الرطوبة فلم ينكسر .

---

(١) الصحيح في اللفظة المعاصرة (كرومبا) وهو جوز الهند الذي لم ينضج بعد وانما يشرب ماؤه .

(٢) هو (باد ارو) في الوقت الحاضر ويعني في المالديفية : الميناء .

(٣) هذه الكلمة لم يتغير لفظها في اللغة المالديفية المعاصرة .

(٤) هذه تسمية هندية كنا نستعملها في نجد بلفظ (الكنبار) أما الماديفيون فيسمونه في الوقت الحاضر (رونو) .

(٥) أي : ينقعونه .

وصرفُ أهل هذه الجزائر الودع ، وهو حيوان يلتقطونه في البحر ، ويضعونَه في حُفَر هنالك فيذهبُ لحمه ويبقى عظمُه أبيض ، ويسمون المائة منه سياء[١] ، ويسمّون السبعمائة منه الفال[٢] ، ويسمّون الأثني عشر ألفاً منه الكُتّي[٣] ، ويسمّون المائة الف منه بُسْتُو[٤] ، ويباع منها قيمة أربعة بساتي بدينار من الذهب ، وربّما رخصَ حتى يباع عشرة بساتي منه بدينار ، ويبيعونه من أهل بنجالة بالأرزّ ، وهو أيضاً صرفُ أهل بلاد بنجالة ، ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوضَ الرمل في مراكبهم ، وهذا الودعُ أيضاً هو صرفُ السودان في بلادهم ، رأيته يُباعُ بمالي وجوجو ، بحساب ألف ومائة وخمسين للدينار الذهبي .

ذكر نسائها

ونساؤها لا يُغَطِّينَ رؤوسهن ، ولا سلطانتُهنّ تغطي رأسَها ، ويمشُطنَ شعورهنّ ، ويجمَعْنَها إلى جهة واحدة ، ولا يلبس أكثرُهنّ إلاَّ فوطةً واحدة تسترُها من السرّة إلى أسفل ، وسائرُ أجسادهن مكشوفةٌ ، وكذلك يمشينَ في الأسواق وغيرها[٥] .

ولقد جهدتُ لمّا وليتُ القضاء بها أن أقطعَ تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك ، فكنتُ لا تدخل إليّ منهن امرأة في خصومة إلاَّ مستترة الجسد ، وما عدا ذلك لم تكن لي عليه قدرة .

ولباس بعضهنّ قمصٌ زائدة على الفوطة ، وقمصهن قصارُ الأكمام ، عراضُها . وكان لي جوارٍ كسوتهن لباس أهل دهلي وغطّين رؤوسهن ، فعابَهن ذلك أكثرَ ممّا زانَهن إذ لم يتعَوّدْنَه . وحليُهنّ الأساور ، تجعلُ المرأةُ منها جملةً في ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق ، وهي من الفضّة ولا يجعل أساورَ الذهب إلاَّ نساءُ

---

(١) اللفظ الصحيح الآن (هياه) .
(٢) لا تزال الكلمة مستعملة بلفظ (فال) .
(٣) لم نعرف هذه اللفظة ولعلها محرفة .
(٤) تعرف الآن بلفظ : « بستي » .
(٥) هذا لا يعرف في هذه الأزمان .

السلطان وأقاربُه ، ولهنّ الخلاخيل ، ويسمّونها البايل ، وقلائدُ ذهب يجعلنها على صُدورهن ، ويسمّونها البَسْدَرَد[1] .

ومن عجيب أفعالهن أنّهن يؤجرن أنفسهنّ للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فما دونها وعلى مستأجرهن نفقتهن، ولا يرين ذلك عيباً ويفعله أكثر بناتهم فتجد في دار الإنسان الغني منهن العشر والعشرين ، وكلّ ما تكسره من الأواني يحسبُ عليها قيمته ، وإذا أرادت الخروج من دار إلى دار أعطاها أهل الدار التي تخرج إليها العدد الذي هي مرتهنة فيه ، فتدفعه لأهل الدار التي خرجت منها ، ويبقى عليها للآخرين . وأكثر شغل لهؤلاء المستأجرَات غزل القنبر .

والتزوّج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق[2] وحسن معاشرة النساء ، وأكثرَ الناس لا يسمّي صداقاً ، إنّما تقعُ الشهادة ويعطي صداق مثلها ، وإذا قدمت المراكب تزوج أهلُها النساء ، فإذا أرادوا السفر طلّقوهن ، وذلك نوعٌ من نكاح المتعة ، وهن لا يخرجن عن بلادهنّ أبداً ، ولم أرَ في الدنيا أحسن معاشرة منهن . ولا تَكِلُ المرأةُ عندهم خدمة زوجها إلى سواها بل هي تأتيه بالطعام . وترفعُه من بين يديه ، وتغسل يده ، وتأتيه بالماء للوضوء ، وتغمّ رجليه عند النوم . ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ، ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ، ولقد تزوّجتُ بها نسوة ، فأكلَ معي بعضهن بعد محاولة ، وبعضُهن لم تأكل معي ، ولا استطعتُ أن أراها تأكل ، ولا نفعتني حيلة في ذلك .

ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر
وذكر العفاريت من الجن التي تضر بها في كل شهر

حدّثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليمني ، والفقيه المعلّم عليّ ، والقاضي عبدالله ، وجماعة سواهم ، أن أهل هذه الجزيرة كانوا كفّاراً ، وكان يظهر لهم في كل

---

(١) تسمى في الوقت الحاضر : « فستدرباي » .

(٢) لا تزال هذه العادة موجودة ، تكلمت عليها في اليوميات ، ونزارة الصداق : قلة المهر قلة متناهية .

شهر عفريتٌ من الجنّ يأتي من ناحية البحر كأنّه مركب مملوء بالقناديل ، وكانت عادتُهم إذا رأوه أخذوا جاريةً بكراً فزيّنوها وأدخلوها إلى بُدْخانة[1] ، وهي بيت الأصنام ، وكان مبنيّاً على ضفّة البحر ، وله طاق يُنظرُ إليه منه ، ويتركونها هنالك ليلةً ، ثمّ يأتون عند الصباح ، فيجدونها مفتضّةً ميتةً ، ولا يزالون في كلّ شهر يقترعون بينهم ، فمن أصابتهُ القرعة أعطى بنته .

ثم أنّه قدمَ عليهم مغربي يسمّى بأبي البركات البربري ، وكان حافظاً للقرآن العظيم ، فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل[2] ، فدخلَ عليها يوماً ، وقد جمعت أهلها ، وهن يبكينَ كأنّهن في مأتم ، فاستفهَمهنّ عن شأنهنّ ، فلم يُفهمنَه ، فأتَى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها ، وليسَ لها إلّا بنتٌ واحدة يقتلها العفريت . فقال لها أبو البركات : أنا أتوجّه عوضاً من بنتك بالليل ، وكان سناطاً لا لحية له ، فاحتملوه تلك الليلة ، وأدخلوه إلى بُدخانة ، وهو متوضىء ، وأقامَ يتلو القرآن ، ثمّ ظهرَ له العفريتُ من الطاق فداومَ التّلاوة ، فلمّا كان منه بحيث يسمع القراءة غاصَ في البحر وأصبحَ المغربي وهو يتلو على حاله ، فجاءت العجوز وأهلُها وأهلُ الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها ، فوجدوا المغربي يتلو ، فمضوا به إلى ملكهم ، وكان يسمّى شَنُورازة[3] ، وأعلموه بخبره ، فعجبَ منه ، وعرض المغربي عليه الإسلامَ ورغّبهُ فيه ، فقالَ له : أقم عندنا إلى الشهر الآخر ، فإن فعلتَ كفعلك ، ونجوتَ من العفريت . أسلمت . فأقام عندهم وشَرَح الله صدرَ الملك للإسلام ، فأسلمَ قبلَ تمام الشهر ، وأسلمَ أهلُه وأولادُه وأهلُ دولته .

ثمّ حُملَ المغربي لمّا دخلَ الشهر إلى بُدْخانة ، ولم يأتِ العفريت ، فجعل يتلو حتى الصباح ، وجاء السلطان والناسُ معه ، فوجدوه على حاله من التلاوة ، فكسروا الأصنامَ وهدموا بُدخانة ، وأسلمَ أهلُ الجزيرة ، وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلمَ أهلُها ، وأقامَ المغربي عندهم معظّماً ، وتمذهبوا بمذهبه مذهب الإمام مالك ، رضي الله عنه . وهم إلى هذا العهد يعظّمون المغاربة بسببه . وبنى مسجداً هو

(١) بدخانة : معبد البوذيين .

(٢) هي جزيرة (مالي) عاصمة مالديف .

(٣) لا يزال المالديفيون يسمون بهذا الاسم ولكن بلفظ : (شاني ويرازه) .

معروف باسمه ، وقرأت على مقصورة الجامع منقوشاً في الخشب أسلمَ السلطان أحمد شَنُورازة على يد أبي البركات البربري المغربي . وجعل ذلك السلطان ثلثَ مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل ، إذ كان إسلامُه بسببهم ، فسمّي على ذلك حتى الآن ، وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثيرٌ قبل الإسلام .

ولمّا دخلناها لم يكن لي علم بشأنه ، فبينا أنا ليلة في بعض شأني إذ سمعتُ الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ، ورأيتُ الأولادَ وعلى رؤوسهم المصاحفُ والنساء يضربن في الطسوت وأواني النحاس ، فعجبتُ من فعلهم ، قلتُ : ما شأنكم ؟ فقالوا : ألا تنظر إلى البحر ؟ فنظرتُ فإذا مثل المركب الكبير ، وكأنّه مملوء سرجاً ومشاعل ، فقالوا : ذلك العفريت ، وعادته أن يظهر مرَّةً في الشهر . فإذا فعلنا ما رأيت انصرَفَ عنّا ولم يضرّنا .

ذكر سلطانة هذه الجزائر

ومن عجائبها أنّ سلطانتها امرأةٌ . وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر ابن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي ، وكان المُلكُ لجدّها ثمّ لأبيها . فلمّا ماتَ أبوها وليَ أخوها شهاب الدين ، وهو صغير السن ، فتزوّج الوزير عبدالله بن محمد الحضرمي أمّه ، وغلبَ عليه ، وهو الذي تزوّج ايضاً هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سنذكره . فلمّا بلغَ شهاب الدين مبلغَ الرجال أخرجَ ربيبَه الوزير عبدالله ، ونفاه إلى جزائر السويد[١] . واستقلّ بالملك ، واستوزر أحد مواليه ، ويسمّى عليّ كَلَكي ، ثمّ عزَله بعد ثلاثة أعوام ونفاه إلى السويد .

وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور أنّه يختلفُ إلى حُرَم أهل دولته وخوَاصّه بالليل ، فخلعوه لذلك ، ونفوه إلى إقليم هلدتني[٢] ، وبعثوا من قتله بها ، ولم يكن بقي من بيت الملك إلاّ أخواتُه خديجة الكبرى ومريم وفاطمة . فقدموا خديجة سلطانة وكانت متزوّجة لخطيبهم جمال الدين فصارَ وزيراً وغالباً على الأمر ،

---

(١) تسمى الآن (أدو) في اقصى جنوب جزائر مالديف ، كما سبق .
(٢) في شمال جزائر مالديف .

وقدَمَ ولدَه محمداً للخطابة عوضاً منه . ولكن الأوامر إنّما تُنفَذ باسم خديجة ، وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكّين ، ولا يكتبون في الكاغد إلاّ المصاحف وكتبَ العلم ، ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها ، فيقول : اللهم انصُرْ امتَكَ التي اخترتَها على علم على العالمين ، وجعلتَها رحمةً لكافة المسلمين ، ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين .

ومن عاداتهم إذا قدمَ الغريب عليهم ومضى إلى المشور ، وهم يسمّونه الدار ، فلا بدّ له أن يستصحب ثوبين ، فيخدم لجهة هذه السلطانة ويرمي بأحدهما ، ثمّ يخدم لوزيرها ، وهو زوجُها جمال الدين ، ويرمي بالثاني .

وعسكرُها نحو ألف إنسان من الغرباء ، وبعضهم بلديون ، ويأتون كلّ يوم إلى الدار فيخدمون وينصرفون . ومرتبهم الأرزّ يُعطاهم من البندر في كلّ شهر ، فإذا تمّ الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير : بلّغ عنّا الخدمة ، واعلم بأنّا أتينا نطلب مرتّبنا ، فيؤمر لهم به عند ذلك ؛ ويأتي أيضاً إلى الدار كلّ يوم القاضي وأرباب الخطط ، وهم الوزراء عندهم ، فيخدمون يبلّغ خدمتهم الفتيان وينصرفون .

ذكر أرباب الخطط وسيرهم

وهم يسمّون الوزيرَ الأكبر النائب عن السلطانة كَلَكي ويسمّون القاضي فَنْدَيارقالُو[1] ، وأحكامُهم كلّها راجعة إلى القاضي ، وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين ، وأمره ممتثَل كأمر السلطان وأشدّ ، ويجلسُ على بساط في الدار ، وله ثلاث جزائر يأخذ مجباها لنفسه ، عادة قديمة أجراها السلطان أحمد شَنُورازة ، ويسمّون الخطيب هَنْدِيجَري ، ويسمّون صاحب الديوان الفَامَلْدَاري ، ويسمّون صاحب الأشغال مَافاكَلُو[2] ، ويسمّون الحاكم فِتْنَايَك ، ويسمّون قائد البحر مَانَايَك ، وكلّ

---

(١) لفظها الآن (فانديارو) أما قلو أو كلو فتعني رجلاً أو شخصاً بالمالديفية .

(٢) كانت هذه التسمية معروفة الى عهد قريب بلفظ (مافكلو) .

هؤلاء يسمّى وزيراً . ولا سجنَ عندهم بتلك الجزائر إنّما يُحبسُ أربابُ الجرائم في بيوت خشب هي معدّة لأمتعة التجّار ، ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم .

ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالي بها

ولمَا وصَلتُ إليها نزلتُ منها بجزيرة كنلوس[1] ، وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة ، ونزلتُ بدار رجل من صلحائها ، وأضافَني بها الفقيه عليّ ، وكان فاضلاً له أولاد من طلبة العلم ، ولقيتُ بها رجلاً اسمه محمد من أهل ظفَار الحموض ، فأضافَني وقال لي : إن دخلتَ جزيرة المهل أمسكك الوزيرُ بها . فإنّهم لا قاضي عندهم . وكان غرضي أن أسافرَ منها إلى المعبر وسرنديب[2] وبنجالة[3] ثمّ إلى الصين . وكان قدومي عليها في مركب الناخوذة[4] عمر الهنوري ، وهو من الحجّاج الفضلاء ، ولمّا وصلنا كنلوس أقامَ بها عشراً ثمّ اكترى كندرةً[5] يسافرُ فيها إلى المهل بهدية للسلطانة وزوجها ، فأردت السفر معه ، فقال : لا تسعك الكندرة أنتَ وأصحابك ، فإن شئتَ السفر منفرداً عنهم فدونك ، فأبيتُ ذلك .

وسافر ، فلعبت به الريح وعادَ إلينا بعد أربعة أيّام ، وقد لقي شدائد ، فاعتذَر لي وعزَمَ عليّ في السفر معه بأصحابي . فكنّا نرحلُ غدوة فننزل في وسط النهار لبعض الجزائر ونرحلُ فنبيتُ بأخرى ، ووصَلنا بعد أربعة أيّام إلى إقليم التيم[6] ، وكان الكردوي[7] يسمّى بها هلالاً ، فسلّم عليّ وأضافني ، وجاء إليّ ومعه أربعة رجال ، وقد جعل اثنان منهم عوداً على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات ، وجعلَ الآخران

---

(١) تقع الى الجنوب من جزيرة العاصمة .
(٢) سر نديب : هي جزيرة سيلان .
(٣) بنجالة : هي بلاد البنغال في شرق الهند .
(٤) الناخوذة : رئيس المركب .
(٥) الكندرة : سفينة غير كبيرة .
(٦) اسمه (اوتيم) في الوقت الحاضر .
(٧) الكردوي : الوالي .

عوداً مثله وعلّقا منه نحو عشر من جوز النارجيل . فعجبتُ من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير ، فأُخبرتُ أنّهم صنعوه على جهة الكرامة والإجلال .

ورحلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمان ، وهو رجلٌ فاضلٌ من خيار الناس ، فأكرَمنا وأضافنا ، وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة لوزير يقال له التلمذي ، وفي اليوم العاشر وصلنا الى جزيرة المهل[1] حيثُ السلطانة وزوجها ، وأرسينا بمرساها . وعادتهم أن لا ينزل أحد من المرسى إلاّ بإذنهم ، فأذنوا لنا بالنزول ، وأردتُ التوجّه إلى بعض المساجد فمنعني الخدم الذين بالساحل ، وقالوا : لا بدّ من الدخول إلى الوزير . وكنتُ أوصيتُ الناخوذة أن يقول إذا سئل عني : لا أعرفه ، خوفاً من إمساكهم إيّاي ، ولم أعلم أن بعض أهل الفضول قد كتبَ إليهم معرّفاً بخبري ، وإني كنتُ قاضياً بدهلي .

فلمّا وصلنا إلى الدار وهو المشور[2] نزَلنا في سقائف على الباب الثالث منه ، وجاء القاضي عيسى اليمني ، فسلَم عليّ وسلّمتُ على الوزير ، وجاء الناخوذة إبراهيم بعشرة أثواب ، فخدمَ لجهة السلطانة ورمى بثوب منها ، ثمّ خدمَ الوزير ورمى بثوب آخر ، ورمى بجميعها ، وسُئل عني فقال : لا أعرفه . ثمّ أخرجوا لنا التنبول وماء الورد ، وذلك هو الكرامة عندهم ، وأُنزلنا بدار ، وبُعِثَ إلينا الطعام ، وهو قصعة كبيرة فيها الأرزّ ، وتدور بها صحافٌ فيها اللحم الخليع[3] والدجاج والسمن والسمك .

ولّما كان بالغد مضيتُ مع الناخوذة والقاضي عيسى اليمني لزيارة زاوية في طرف الجزيرة عمَرَها الشيخ الصالح نجيب ، وعدنا ليلاً ، وبعثَ الوزيرُ اليّ صَبيحَة تلك الليلة كسوةً وضيافة فيها الأرزّ والسمن والخليع وجوز النارجيل والعسل المصنوع منها ، وهم يسمّونه القُرْباني ، ومعنى ذلك ماء السكر ، وأتوا بمائة ألف ودَعَة للنفقة .

---

(١) هي (مالي) العاصمة .

(٢) المشور هنا : ديوان الوالي ومقر السلطان .

(٣) ربما كان المراد باللحم الخليع اللحم الذي قد غلي غلياً خفيفاً ، ولا يزال أهل نجد يسمون ما يبقى من قطع الشحم المذاب (خلعا) .

وبعد عشرة أيّام قدم مركبٌ من سيلان فيه فقراء من العرب والعجم يعرفونني ، فعرّفوا خدّام الوزير بأمري ، فزاد اغتباطاً بي ، وبعثَ إليّ عند استهلال رمضان ، فوجدتُ الأمراء والوزراء ، وأُحضرَ الطعامُ في موائد يجتمعُ على المائدة طائفةٌ ، فأجلسني الوزير إلى جانبه ، ومعه القاضي عيسى والوزير الفاملداري والوزير عمر دهرد ، ومعناه مقدم العسكر ، وطعامهم الأرزّ والدجاج والسمن والسمك والخليع والموز المطبوخ ، ويشربون بعده عسل النارجيل مخلوطاً بالأفاويه وهو يهضم الطعام .

وفي التاسع من شهر رمضان ماتَ صهر الوزير زوج بنته ، وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ، ولم يدخل بها أحد منهما لصغرها ، فردّها أبوها لداره ، وأعطاني دارها ، وهي من أجمل الدور ، واستأذنتُه في ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدم[1] . فأذن لي في ذلك ، وبعثَ إليّ خمساً من الغنم ، وهي عزيزة عندهم لأنّها مجلوبة من المعبر والمليبار[2] ومقدشو ، وبعثَ الأرزّ والدجاج والسمن والأبازير ، فبعثتُ ذلك كلّه الى دار الوزير سليمان مَانَايَك ، فطبخَ لي بها فأحسنَ في طبخه وزاد فيه ، وبعثَ الفرشَ وأواني النحاس ، وأفطرنا على العادة بدار السلطانة مع الوزير ، واستأذنته في حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة ، فقال لي : وأنا أحضرُ أيضاً ، فشكرتُه وانصرفتُ إلى داري ، فإذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة ، فجلسَ في قبّة خشب مرتفعة ، وكان كلّ من يأتي من الأمراء والوزراء يسلّم على الوزير ، ويرمي بثوب غير مخيط ، حتى اجتمعَ مائةُ ثوبٍ أو نحوها ، فأخذها الفقراء .

وقدمَ الطعامُ فأكلوا ثمّ قرأ القرّاء باصوات الحسان ، ثمّ أخذوا في السماع والرقص ، وأعددتُ النار ، فكان الفقراء يدخلونها ويطأونها بالأقدام ، ومنهم من يأكلها كما تؤكل الحلواء ، إلى أن خمدت .

---

(١) المراد بالقدم هنا : موضع قدم آدم الموجود على أحد جبال سيلان وذلك عندما اهبط من الجنة في ذلك المكان حسب زعمهم . والفقراء هم فقراء المتصوفين .
(٢) المليبار في جنوب الهند وتسمى الآن (كيرالا) .

ذكر بعض إحسان الوزير إلي

ولمّا تمّت الليلة انصرَفَ الوزير ومضيتُ معه ، فمررنا ببستان للمخزن ، فقال لي الوزير : هذا البستان لك ، وسأعمّر لك فيه داراً لسكناك ، فشكرت فعله ودعوتُ له ؛ ثمّ بعثَ لي من الغد بجارية ، وقال لي خديمه : يقول لك الوزيرُ إن أعجبتك هذه هي لك ، وإلاّ بعثتُ لك جارية مرهتية [1] وكان الجواري المرهتيات تعجبني ، فقلتُ له : إنّما أريد المرهتية ، فبعثَها لي ، وكان اسمُها قلُ استان ، ومعناه زهر البستان . وكانت تعرف اللسان الفارسي ، فأعجبتني ، وأهلُ تلك الجزائر لهم لسانٌ لم أكن أعرفُه ، ثمّ بعثَ إليّ في غد ذلك بجارية معبرية [2] تسمّى عنبري .

ولمّا كانت الليلةُ بعدها جاء الوزيرُ إليّ ، بعد العشاء الأخيرة ، في نفر من أصحابه ، فدخل الدار ، ومعه غلامان صغيران ، فسلّمتُ عليه ، وسألني عن حالي ، فدعوتُ له وشكرتُه ، فألقى أحد الغلامين بينَ يديه لقشة (بقشة) وهي شبه السبنية [3] ، وأخرَجَ منها ثياب حرير وحُقاً فيه جوهر وحلى ، فأعطاني ذلك وقال لي : لو بعثته لك مع الجارية لقالت هو مالي جئتُ به من دار مولاي ، والآن هو مالك فأعطها إيّاه ، فدعوتُ له وشكرتُه ، وكان أهلاً للشكر ، رحمه الله .

ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك

وكان الوزير سليمان مَانَايَك قد بعثَ إليّ أن أتزَوّج بنته ، فبعثتُ الى الوزير جمال الدين مستأذناً في ذلك ، فعادَ إليّ الرسولُ ، وقال : لم يعجبه ذلك ، وهو يحبّ أن يزوّجك بنته إذا انقضت عدتها ، فأبيتُ أنا ذلك ، وخفتُ من شؤمها لأنّه مات

---

(١) المرهتية منسوبة الى المهراتيين وهم قوم في الهند تقع منطقتهم في ولاية (مهراتسر) قرب بومبي في الهند .

(٢) المعبرية : من بلاد المعبر في جنوب الهند والظاهر أنها في ولاية (كرناتك) في الوقت الحاضر .

(٣) السبنية : ازار أسود للنساء .

تحتها زوجان قبل الدخول . وأصابتني أثناء ذلك حمّى مرضتُ بها ، ولا بدّ لكلّ من يدخل تلك الجزيرة أن يُحمّ ، فقوي عزمي على الرحلة عنها ، فبعتُ بعض الحلي بالودع ، واكتريتُ مركباً أسافرُ فيه لبنجالة[1] .

فلمّا ذهبتُ لوداع الوزير خَرَج إليّ القاضي فقال : الوزير يقول لك : إن شئتَ سفرَ فأعطنا ما أعطيناك وسافر . فقلتُ له : إن بعض الحلى اشتريتُ به الوَدَع فشأنكم وإيّاه ، فعادَ إليّ فقال : يقول إنّما أعطيناك الذهب ولم نعطكَ الوَدَع . فقلتُ له : أنا أبيعُه وآتيكم بالذهب ، فبعثتُ إلى التجّار ليشتروه مني ، فأمَرهم الوزير أن لا يفعلوا ، وقصدُه بذكل كلّه أن لا أسافر عنه .

ثمّ بعثَ إليّ أحد خواصَه ، وقال : الوزير يقول لك أقم عندنا ، ولك كلّ ما أحببت . فقلت في نفسي : أنا تحت حكمهم ، وإن لم أُقم مختاراً أقمت مضطراً ، فالإقامة باختياري أولى . وقلتُ لرسوله : نعم ، أنا أُقيمُ معه . فعاد إليه ففرح بذلك واستدعاني ، فلمّا دخلتُ إليه قامَ إليّ وعانقني، وقال : نحن نريدُ قربك ، وأنتَ تريدُ البعد عنّا ، فاعتذرتُ له فقبل عذري ، وقلتُ له : إن أردتم مقامي ، فأنا أشترطُ عليكم شروطاً ، فقال : نقبلها فاشترطْ . فقلتُ له : أنا لا أستطيعُ المشي على قدمي ، ومن عادتهم أن لا يركب أحدٌ هنالك إلا الوزير ، ولقد كنتُ لمّا أعطوني الفرس فركبتُه يتبعُني الناس رجالاً وصبياناً يعجبون مني حتى شكوتُ له فضُرِبت الدُّنْقُرة وبُرّح[2] في الناس أن لا يتبعني أحد . والدُّنْقُرَة شبهُ الطست من النحاس ، تُضرَبُ بحديدة فيُسمعُ لها صوتٌ على البعد ، فإذا ضربوها حينئذ يبرّح في الناس بما يراد ، فقالَ لي الوزير : إن أردتَ أن تركبَ الدولة[3] ، وإلاّ فعندنا حصانٌ ورمكة ، فاختر أيّهما شئت . فاخترتُ الرمكة فأتوني بها في تلك الساعة ، وأتوني بكسوة ، فقلت له : وكيف أصنعُ بالودع الذي اشتريته ؟ فقال : ابعث أحد أصحابك ليبيعه ببنجالة . فقلُت له : على أن تبعثَ أنتَ من يعينه على ذلك . فقال : نعم . فبعثتُ حينئذٍ رفيقي أبا محمد بن فرحان وبعثوا معه رجلاً يسمّى الحاج

---

(١) بلاد البنغال في شرق الهند .

(٢) برح بالناس : أي : نودي بهم وأعلن فيهم .

(٣) الدولة شبه السرير او الكرسي ، يجلس المرء فيها ويحمل على أعناق الرجال .

عليّاً ، فاتفق أن هالَ البحر . فرَموا بكلّ ما عندهم حتى الزاد والماء والصاري والقريّة[1] ، وأقاموا ستّ عشرة ليلةً لا قلعَ لهم ولا سُكّان ولا غيرَه ، ثمّ خرَجوا إلى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد. وقدمَ عليّ صاحبي أبو محمد بعد سنة ، وقد زارَ القدم[2] . وزارها مرّة ثانية معي .

ذكر العيد الذي شاهدته معهم

ولمّا تمّ شهر رمضان بعثَ الوزيرُ إليّ بكسوة ، وخرَجنا إلى المصلى . وقد زُيّنَت الطريق التي يمرّ الوزيرُ عليها من داره إلى المصلى ، وفرشت الثياب فيها ، وجُعلتْ كتاتي[3] الودع يمنة ويسرة ، وكلّ من له على طريقه دار من الأمراء والكبار قد غرسَ عندها النخل الصغار من النارجيل وأشجار الفوفل والموز ، ومدّ من شجرة إلى أخرى شرائط ، وعلق منها الجوز الأخضر ، ويقف صاحبُ الدار عند بابها فإذا مرّ الوزيرُ رمى على رجليه ثوباً من الحرير أو القطن ، فيأخذه عبيده مع الودع الذي يُجعلُ على طريقه أيضاً ، والوزيرُ ماشٍ على قدميه ، وعليه فرجية مصرية من المرعز ، وعمامة كبيرة ، وهو متقلّد فوطةً حرير ، وفوقَ رأسه أربعة شطور ، وفي رجليه النعل ، وجميعُ الناس سواه حفاة ، والأبواقُ والأنفارُ والأطبال بينَ يديه ، والعساكرُ أمامه وخلفه ، وجميعُهم يكبّرون حتى أتوا المصلى ، فخطبَ ولده بعد الصلاة ، ثمّ أُتيَ بمحفّة فركبَ فيها الوزير ، وخدمَ له الأمراء والوزراء ، ورموا بالثياب على العادة ، ولم يكن ركبَ في المحفّة قبل ذلك لأن ذلك لا يفعله إلاَّ الملوك .

ثمّ رفعَه الرجال وركبتُ فرسي ، ودخلنا القصر ، فجلس بموضع مرتفع ، وعنده الوزراء والأمراء ، ووقَفَ العبيد بالتّرسة والسيوف والعصيّ ، ثمّ أتي بالطعام ثمّ بالفوفل والتنبول ، ثمّ أُتيَ بصفحةٍ صغيرة فيها الصندل المقاصري ، فإذا أكلت جماعة من الناس تلطّخوا بالصندل .

---

(١) القرية : عود الشراع الذي يجعل في عرضه من أعلاه .

(٢) تقدم القول بأنها الموضع المزعوم لقدم آدم عليه السلام .

(٣) لعلها اكوام الودع او أوعية يجعل فيها الودع .

ورأيت على بعض طعامهم يومئذ حوتاً من السردين مملوحاً غير مطبوخ ، أهدي لهم من كولم ، وهو ببلاد المُلَيْبار كثير ، فأخذ الوزير سردينةً ، وجعل يأكلها وقال لي : كلْ منه فإنّه ليس ببلادنا ! فقلت : كيفَ آكله وهو غير مطبوخ ؟ فقال : إنّه مطبوخ . فقلت : أنا أعَرفُ به فإنّه ببلادي كثير .

ذكر تزوجي وولايتي القضاء

وفي الثاني من شوّال اتفقتُ مع الوزير سليمان مَانَايَك على تزوّج بنته ، فبعثتُ إلى الوزير جمال الدين أن يكون عقد النكاح بينَ يديه بالقصر ، فأجابَ إلى ذلك وأحضرَ التنبول ، على العادة ، والصندل ، وحضرَ الناس ، وأبطأ الوزير سليمان ، فاستُدعي فلم يأتِ ، ثمّ استُدعي ثانية ، فاعتذر بمرض البنت . فقال لي الوزيرُ سرّاً : إن بنتَه امتنعت ، وهي مالكة أمرَ نفسها ، والناسُ قد اجتمعوا ، فهل لك أن تتزوّج بربيبة السلطان زوجة أبيها ، وهي التي ولده متزوّج بنتها ؟ فقلتُ له : نعم ! فاستدعى القاضي والشهود ووُقّعت الشهادة ، ودفع الوزيرُ الصداق ، ورُفعت إليّ بعد أيام ، فكانت من خيار النساء . وبلغَ حسن معاشرتها أنّها كانت إذا تزوّجت عليها تطيّبني وتبخّر أثوابي ، وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغيّر .

ولّما تزوّجتها أكرَهني الوزير على القضاء ، وسببُ ذلك اعتراضي على القاضي لكونه كان يأخذ العشر من التركات إذا قسمها على أربابها . فقلتُ له : إنّما لك أجرةٌ تتفقُ بها مع الورثة ، ولم يكن يُحسن شيئاً ؛ فلمّا وليت اجتهدتُ جهدي في إقامة رسوم الشرع ، وليست هنالك خصومات كما هي ببلادنا ، فأوّل ما غيّرت من عوائد السوء مكثُ المطلّقات في ديار المطلّقين ، وكانت إحداهن لا تزال في دار المطلّق حتّى تتزوّج غيرَه ، فحسمتُ علّة ذلك . وأُتي إليّ بنحو خمسة وعشرين رجلاً ممّنْ فعلَ ذلك ، فضرَبتُهم وشهّرتُهم بالأسواق ، وأخرجت النساء عنهم . ثمّ اشتددتُ في إقامة الصلوات وأمرت الرجالَ بالمبادرة إلى الأزقة والأسواق اثرَ صلاة الجمعة ، فمن وجدوه لم يصلّ ضربته وشهّرته ، وألزمت الأئمّة والمؤذنين أصحاب المرتبات المواظبـة على ما هم بسبيله ، وكتبتُ إلى جميع الجزائر بنحو ذلك ، وجهدتُ أن أكسو النساء فلم أقدر على ذلك .

ذكر قدوم الوزير عبدالله بن محمد الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب الدين إلى السويد وما وقع بيني وبينه

وكنتُ قد تزوّجتُ ربيبتَه بنتَ زوجته ، وأحببتُها حبّاً شديداً ، ولمّا بعثَ الوزيرُ إليه ، وردّه إلى جزيرة المَهَل[1] ، بعثتُ له التحفَ ، وتلقيتُه ، ومضيتُ معه إلى القصر ، فسلَّم على الوزير ، وأنزَله في دار جيّدة ، فكنتُ أزوره بها . واتفقَ أن اعتكفتُ في رمضان فزارَني جميعُ الناس إلاَّ هو ، وزارني الوزيرُ جمالُ الدين ، فدخلَ هو معه بحكم الموافقة ، فوقعت بيننا الوحشة ؛ فلمّا خرجتُ من الاعتكاف شكا إليّ أخوالُ زوجتي ربيبته ، أولادُ الوزير جمال الدين السنجري ، فإن أباهم أوصى عليهم الوزيرَ عبدالله ، وإن ما لهم باقٍ بيده ، وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع ، وطلبوا إحضاره بمجلس الحكم .

وكانت عادتي إذا بعثت إلى خصم من الخصوم أبعثُ له قطعة كاغد مكتوبة ، فعندما يقفُ عندها يبادر إلى مجلس الحكم الشرعي وإلاَّ عاقبتُه . فبعثتُ إليه على العادة ، فأغضبه ذلك ، وحقدَها لي ، وأضمرَ عداوتي ، ووكّلَ من يتكلّم عنه ، وبلغني عنه كلامٌ قبيح .

وكانت عادة الناس من صغير وكبير أن يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال الدين ، وخدمتهم أن يوصلوا السّبّابة الى الأرض ثمّ يقبّلوها ويضعوها على رؤ وسهم ، فأمرتُ المنادي فنادى بدار السلطان على رؤ وس الأشهاد أنّه من خدمَ للوزير عبدالله كما يخدم للوزير الكبير لزمهُ العقاب الشديد ، وأخذتُ عليه أن لا يترك الناس لذلك . فزادت عداوته . وتزوّجتُ أيضاً زوجةً أخرى بنت وزير معظمٍ عندهم كان جدّه السلطان داود حفيد السلطان أحمد شَنُورازة ، ثمّ تزَوّجتُ زوجةً كانت تحت السلطان شهاب الدين ، وعمّرت ثلاث ديار بالبستان الذي أعطانيه الوزير ، وكانت الرابعة . وهي ربيبة الوزير عبدالله ، تسكن في دارها ، وهي أحبّهن إليّ ، فلمّا صاهرتُ من ذكرتُه هابني الوزير وأهلُ الجزيرة ، وتخوّفوا مني لأجل

---

(١) هي جزيرة (مالي) العاصمة كما تقدم .

ضعفهم ، وسعوا بيني وبين الوزير بالنمائم ، وتولّى الوزيرُ عبدالله كبر ذلك ، حتى تمكنت الوحشة .

ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك

واتفقَ في بعض الأيّام أن عبداً من عبيد السلطان جلال الدين شكته زوجته إلى الوزير ؛ وأعلمته أنه عند سُريّة من سراري السلطان يزني بها . فبعثَ الوزيرُ الشهود ، ودخلوا دار السرّية فوجدوا الغلامَ نائماً معها في فراشٍ واحد ، وحبسوهما ، فلمّا أصبحتُ وعلمتُ بالخبر توجّهتُ إلى المشور ، وجلستُ في موضع جلوسي ، ولم أتكلّم في شيء من أمرهما ، فخرَجَ إليّ بعضُ الخواص فقال : يقول لك الوزير ألك حاجة ؟ فقلت : لا ! وكان قصده أن أتكلّم في شأن السريّة والغلام ، إذ كانت عادتي أن لا تقعَ قضيّةٌ إلّا حكمتُ فيها . فلمّا وقعَ التغيرُ والوحشةُ قصّرتُ في ذلك ، فانصرَفتُ إلى داري بعد ذلك ، وجلست بموضع الأحكام ، فإذا ببعض الوزراء ، فقال لي : الوزيرُ يقول لك : إنّه وقعَ البارحة كيت وكيت لقضيّة السرّية والغلام ، فاحكم فيهما بالشرع . فقلتُ له : هذه قضيّة لا ينبغي أن يكون الحكم فيها إلّا بدار السلطان ، فعدتُ إليها .

واجتمعَ الناسُ وأُحضرت السريّة والغلام ، فأمرت بضربهما للخلوة ، وأطلقتُ سراحَ المرأة ، وحبستُ الغلام ، وانصرَفتُ إلى داري . فبعثَ الوزيرُ إليّ جماعة من كبراء ناسه في شأن تسريح الغلام ، فقلتُ لهم : أتشفعون في غلام زنجي يهتك حرمة مولاه ، وأنتم بالأمس خلعتم السلطان شهاب الدين ، وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له ؟ وأمرتُ بالغلام عند ذلك فضُربَ بقضبان الخيزران وهي أشدّ وقعاً من السياط ، وشهّرتُه بالجزيرة ، وفي عنقه حبل .

فذهبوا إلى الوزير فأعلموه ، فقامَ وقعد واستشاطَ غضباً ، وجمعَ الوزراء ووجوه العسكر ، وبعثَ إليّ فجئتُه ، وكانت عادتي أن أخدم له فلم أخدم ، وقلت : سلامٌ عليكم . ثمّ قلتُ للحاضرين : اشهدوا عليّ إني قد عزلتُ نفسي عن القضاء لعجزي عنه ، فكلّمني الوزيرُ ، فصعدتُ وجلستُ بموضع أقابله فيه وجاوبتُه أغلظ

جواب ، وأذّنَ مؤذّن المغرب ، فدخلَ إلى داره ، وهو يقول : ويقولون اني سلطان ، وها أنا ذا طلبتُه لأغْضبَ عليه ، فغضبَ عليّ .

وإنّما كان اعتزازي عليهم بسبب سلطان الهند لأنّهم تحقّقوا مكانتي عنده ، وإن كانوا على بعد منه فخوفُه في قلوبهم متمكن . فلمّا دخلَ إلى داره بعثَ إلي القاضي المعزول ، وكان جريء اللسان ، فقال لي : إن مولانا يقول لك : كيف هتكت حرمتَه على رؤوس الأشهاد ، ولم تخدم له ؟ فقلتُ له : إنّما كنتُ أخدمُ له حينَ كان قلبي طيّباً عليه ، فلمّا وقعَ التغيرُ تركتُ ذلك ، وتحيّةُ المسلمين إنّما هي السلام ، وقد سلّمت . فبعثهُ إليَّ ثانية فقال : إنّما غرضُك السفرُ عنّا فأعطِ صدقات النساء وديونَ الناس وانصرف إذا شئت ، فخدمتُ له على هذا القول ، وذهبتُ الى داري فخلصتُ ممّا عليّ من الدين ، وكان قد أعطاني في تلك الأيام فرشَ دارٍ وجهازها من أواني نحاس وسواها ، وكان يعطيني كلّ ما أطلبه ، ويحبّني ويُكرمني ، ولكنّه غيّرَ خاطره وتَخَوّف مني ، فلّما عرَفَ أني قد خلصتُ الدّين وعزمتُ على السفر ندمَ على ما قاله ، وتلكأ في الإذن لي في الفسر ، فحلفتُ بالأيمان المغلظة أن لا بدّ من سفري ، ونقلتُ ما عندي إلى مسجد على البحر ، وطلقتُ إحدى الزوجات ، وكانت إحداهن حاملاً فجعلتُ لها أجلاً تسعةَ أشهر إن عدتُ فيها ، وإلّا فأمرُها بيدها ، وحملت معي زوجتي التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لأسلّمها لأبيها بجزيرة ملوك ، وزوجتي الأولى التي بنتها أخت السلطانة ، وتوافقتُ مع الوزير عُمَر دهرد والوزير حسن قائد البحر على أن أمضي الى بلاد المعبر ، وكان ملكها سِلفي ، فآتي منها بالعساكر لترجعَ الجزائر إلى حكمه ، وأنوبُ أنا عنه فيها ، وجعلتُ بيني وبينهم علامة رفع أعلام بيض في المراكب ، فإذا رأوها ثاروا في البرّ .

ولم أكن حدّثتُ نفسي بهذا قطّ ، حتى وقعَ ما وقعَ من التغير ، وكان الوزير خائفاً مني يقولُ للناس : لا بدّ لهذا أن يأخذ الوزارة إمّا في حياتي أو بعد مماتي ، ويكثرُ السؤال عن حالي ، ويقولُ : سمعت أن ملك الهند بعثَ إليه الأموال ليثورَ بها عليّ ، وكان يخافُ من سفري لئلا آتي بالجيوش من بلاد المعبر ، فبعثَ إليّ أن أقيمَ حتى يجهّزَ لي مركباً فأبيتُ ، وشكت أختُ السلطان إليها سفر أمّها معي ، فأرادت منعها فلم تقدر على ذلك ، فلما رأت عزمَها على السفر قالت لها : إن جميع ما عندك من الحلى هو من مال البندر ، فإن كان لك شهود بأن جلال الدين وهبه لك وإلّا

فردّيـه ، وكان حلياً له خطر ، فردّته إليهم ، وأتاني الوزراء والوجوه ، وأنا بالمسجد ، وطلبوا مني الرجوع ، فقلتُ لهم : لولا أني حلفتُ لعدتُ ، فقالوا : تذهب الى بعض الجزائر ليبرّ قسمُك وتعود ، فقلتُ لهم : نعم ، إرضاء لهم .

فلمّا كانت الليلة التي سافرت فيها أتيتُ لوداع الوزير فعانقني ، وبكى حتى قطرت دموعه على قدمي ، وباتَ تلك الليلة يحترسُ الجزيرة بنفسه خوفاً من أن يثور عليه أصهاري وأصحابي ، ثمّ سافرتُ ووصَلتُ إلى جزيرة الوزير عليّ فأصابت زوجتي أوجاعٌ عظيمة ، وأحبّت الرجوع ، فطلّقتُها وتركتُها هنالك ، وكتبتُ للوزير بذلك لأنّها أمّ زوجة ولده ، وطلّقت التي كنتُ ضرَبتُ لها الأجل ، وبعثتُ إلى جارية كنتُ أحبّها ، وسرنا في تلك الجزائر من إقليم إلى اقليم .

ذكر النساء ذوات الثدي الواحد

وفي بعض تلك الجزائر رأيتُ امرأة لها ثديٌ واحد في صدرها، ولها ابنتان إحداهما كمثلها ذاتُ ثدي واحد ، والأخرى ذاتُ ثديين ، إلا أنّ أحدهما كبيرٌ فيه اللّبن والآخر صغير لا لبنَ فيه ، فعجبتُ من شأنهن .

ووَصَلنا إلى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليسَ بها إلاّ دارٌ واحدة ، فيها رجلٌ حائك ، له زوجة وأولاد ونُخَيلات نارجيل ، وقارب صغير يصطادُ فيه السمك ، ويسيرُ به إلى حيثُ أراد من الجزائر . وفي جزيرته أيضاً شجيرات موز ، ولم نرَ فيها من طيور البرّ غيرَ غُرابين خرَجا إلينا لمّا وصَلنا الجزيرة وطافا بمركبنا ، فغبطتُ والله ذلك الرجل ووَددتُ أن لو كانت تلك الجزيرة لي ، فانقطعتُ فيها إلى أن يأتيني اليقين .

ثمّ وصلتُ إلى جزيرة ملوك[1] حيثُ المركب الذي للناخوذة إبراهيم ، وهو الذي عزمتُ على السفر فيه إلى المعبر ، فجاء إليّ ، ومعه أصحابه ، وأضافوني ضيافةً حسنةً . وكان الوزيرُ قد كتبَ لي أن أُعطى بهذه الجزيرة مائة وعشرين بستواً

---

(١) تقع في اقصى الجنوب من جمهورية مالديف كما تقدم .

من الكودة ، وهي الودع ، وعشرينَ قدحاً من الأطوان ، وهو عسل النارجيل ، وعدداً معلوماً من التنبول والفوفل والسمك في كلّ يوم .

وأقمتُ بهذه الجزيرة سبعينَ يوماً ، وتزَوّجتُ بها امرأتين ، وهي من أحسن الجزائر خضِرةً نضِرةً ، رأيتُ من عجائبها أن الغصن يُقتطع من شجرها ويركز في الأرض أو الحائط ، فيورق ويصير شجرة ، ورأيتُ الرمان بها لا ينقطع له ثمر بطول السنة .

وخافَ أهلُ هذه الجزيرة من الناخوذة إبراهيم أن ينهبهم عند سفره ، فأرادوا إمساك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره ، فوقعت المشاجرة بسبب ذلك ، وعدنا إلى المهَل ، ولم ندخلها ، وكتبتُ إلى الوزير مُعلماً بذلك ، فكتبَ أن لا سبيلَ لأخذ السلاح ، وعدنا الى ملوك ، وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة وأربعين .

ما يحتاجه المالديفيون من اخوانهم المسلمين :

أهل مالديف في حاجة الى أشياء يمكن لاخوانهم المسلمين أن يلبوها بسهولة . فأولها : كثرة الاتصالات والزيارات التي ينشأ عنها الحصول على المزيد من المعرفة بهذا القطر الاسلامي العريق .

وثانيها : ايجاد المنح الدراسية في كافة العلوم للطلاب المالديفيين ولا يقتصر ذلك على الموضوعات الاسلامية في كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية فذلك أمر لازم وضروري ولكن هناك الى جانبه تعليم آخر لازم لأمر الدنيا وضروري للحياة العصرية وهو الحصول على المعرفة بالطب والهندسة والزراعة والصيدلة وشؤ ون الادارة مثلاً فهذه الموضوعات قد أصبح أهل البلاد لا يكادون يجدونها الاّ عند قوم غير مسلمين وهؤلاء لا يعطون شيئاً بدون ثمن وربما يكون أقل الاثمان شرّاً في نظر بعض المسلمين أن يعيش الطالب فترة من زهرة حياته في محيط غير اسلامي وفي بيئة تبعده عن بيئته الاسلامية وأحياناً يحتاج الأمر الى مصاريف مالية لا يستطيع القيام بها الاّ القادرون النادرون فماذا يضير لو خصصت لأبناء مالديف خمسون منحة سنوية في هذه الموضوعات موزعة على الجامعات العلمية في البلاد العربية ؟

ومن أهم ما يحتاجه أهل مالديف ايجاد معهد اسلامي عربي يتخرج منه مدرسو الدين المؤهلون لذلك . الى جانب تأسيس مكتبة اسلامية عربية وانكليزية تكون مرجعاً للباحثين والقارئين .

وثالثها : تقديم القروض الكافية التي تنفق على المشروعات التي تنهض باقتصاد البلاد مثل مشروع تجفيف الأراضي الضحلة المياه المحيطة بالجزر ، ومثل ايجاد اسطول من القوارب الحديثة السريعة أو سرب من الطائرات الصغيرة الضرورية للمواصلات .

ورابعها : التعاون الاقتصادي في فتح الأسواق لصادرات مالديف من الأسماك الرخيصة التي تحتاجها بعض البلاد العربية وتشتريها من الأسواق العالمية بأسعار مرتفعة .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة